

النتيجة الكبرى

قد تكون إحدى نتائج الحرب ، وفي بلدان الشرق العربي بنوع خاص - وهي النتيجة الكبرى على ما نرجح ، سيكون لها ما بعدها - أن الحرب بما يلازمها من ظروف استثنائية ادخلت أو أوشكت أن تدخل « الجماهير » الذين يسمون العامة ، في دائرة نظر القادة ، أي المفكرين والأدباء ، بله رجال السياسة : العامة وما يلابسهم من حالات ويتصل بهم من شؤون ، على اختلاف أنواعها ، أو الماشية منها على الأقل ، ثم تنبع سائر الشؤون . وبديهي أن هذا السواد الأعظم من أبناء البلاد كانوا ، إلى زمن غير بعيد ، فيأورا ، أفق « الخاصة » كاللون « الغفل » التي ليست تراءى لذاتها ، لكن يراد بها إبراز صور الرسام .

وإحال أن أغلبية هذه الفئة الممتازة من الذين سموها أو يسمون أنفسهم « الخاصة » ستفتح ابصارها على ذلك المشهد ، مشهد تقدم الجماهير حتى تسد الأفق ، بشي . من الذعر وكثير من الدهشة ، لكن لن يلبث الذعر حتى يغطي على الدهشة ، فطالما اصطلحنا على نتيجة « العامة » كما يسمونها أيضاً ، من ميادين الحياة العامة ، باعتبار الحياة من ضروب الإدارة وأدوات الحكم وتصنيف العلاقات وتوزيع الحريات وتقرير التكاليف - كأنهم جميعاً متاع هؤلاء الخاصة ليس ينافيهم فيه متاع : لا شركة للعامة في الحياة العامة ، وما تحسن الإشارة إليه هنا أن « العامة » و « العام » في الأصل القوي لا تدلان على معنى من معاني الاستئثار أو الأزدراء أو المنعزلة التي أضافها اليها « الخاصة » و « الخاص » بل على الضد . وهكذا ظل المفكر العربي في طهر انبثاقه ، متشعباً ، يتشعبون على تحريم النظريات النبية ، والأديان يتنادون ويتظفرون فيما بينهم ، ورجال السياسة حتى « الوطنيين » منهم لا يعرفون أن هذا الوطن الذي ينسبون هم إليه قد يتجاوز حدود دوائهم وأحكام سجل تولاها ، فتم تولاها . . . الفئة نفسها .

أما السواد الأعظم فهومة الملمعة وآلامه المباشرة وأمانيه وآماله التي لا تقا تلطم من يحسب وبكتبتها ويرجم عنها . . . أما السواد الأعظم بمشاكله ومشاكله التي لا تقا تلطم وحاولها السريعة . . . أما السواد الأعظم بما يحيش في احشائه من حياة زاهرة مضطربة مشقة تلطم صينها واشكالها وسبلها وغاياتها . . . أن هذا السواد الأعظم يكاد لا يشغل حيزاً من الدائرة - الرجة الضيقة - التي اقام حولها مفكرتنا وأدياننا وساستنا ، كسد الصين .

وإذا كانت بلاد الشرق العربي حديثة عهد بتلك الظاهرة الاجتماعية ، فالجتمع العربي قد عرفها وغرس بها وانبثق طرقاً عدة لما لجأها ، بعضها وفق وبهذه أخطأه التوفيق . وستكون هذه الحرب ، بولا مرأ ، بل هذه « الرجة » العظمى في اسباب الحياة وفي الافهام والضاير ، أوسع خطوة يحظرها المجتمع نحو استقراره الاقتصادي والاجتماعي ، وقد كان يقنع بالمسكنات .

ولن تكون بلادنا بمنزلة عن الحركة العامة التي تدفع الامم الى احتذاء اساليب جديدة في الفكر ، وصيغ مستحدثة من الحياة : هو هذا الطوفان « ولا عاصم اليوم » .

حينئذ لن تبتق الأحداث ، فتوفر عن نفسنا ما كابدته وتكادته الامم ، قبلنا وحولنا ، من الاختبارات الموجهة والاصطدامات المنهكة .

الشعر الرمزي

بضم الدكتور قولا فاض

وقادوا في انتقاد معاصريهم والنيل منهم والاشادة بمعاسن بدعهم
وسن شرائع جديدة للنظم ونسوا ان الشاعر الخلق بهذا الاسم
ليس في حاجة الى الدعاوة وان يقول كيف ولماذا ينظم . حسب
ان يندفع بتأثير العاطفة والوحي فيكتب ما يبقى له او عليه حتى
اذا نسي له الضرب على اوتار كل فؤاد كما قال كارليل « كان الشاعر
العظيم » .

على كل فان هذه الثورة الادبية لم تنجح فجأة ولم تقع بمبادأة .
والى جانب الرغبة التي كانت تحيى في صدور بعضهم بشئ سنة
جديدة يكون لها اثر جديد اتاحت اقدار عوامل مختلفة صدمت
الحالين وساعدتها على الظهور . وهذه العوامل غريبة المصادر منها
ما يعود الى انكلترا ومنها الى ألمانيا او روسيا .

فقد كان الادب الانكليزي رسالة صلاح وادب تهذيب . فكانت
الروايات والقصص والاشعار تحمل طابعاً خاصاً من التصوف والقنوت
كما كتب جورج إلير وسونتين ، وامتد ذلك الى الفن فجددوا
الرسم والتصوير بالرجوع الى ما قبل عهد رافائيل Préraphaelisme
متوخين الدقة في الخطوط والفكرة والتبشير بطبيعة آلهة قائمة على
الحال والادب والدين .

وقد نقلت كتب اليو وسونتين الى الفرنسية كما نقل كتاب
المبادي الاول لبسر وهو يعارض تعاليم اوغست كونت الوضعية ،
وكتاب هورن « العقل الباطن » وفيه تحليل للكون بوجود قوة لا
واعية تدبر اموره .

واندفعت من روسيا موجة انسانية تحمل الرحمة والحريية
والانتصار للبائس والضعيف والعبد يزفها الى القراء مؤلفات تورجنف
ودوستويفسكي وتولستوي .

وكانت مبادي شوبنهاور قد احدثت والتسرب الى فرنسا ولم
يكن فيها ما يعارض الوضعية او العلم ، الا ان مسحة التشاؤم واليأس
التي عليها اصاب من النفوس مرعى خصباً للاوهام والتعلق بما وراء
الطبيعة ، كما ان كتابات استاذة فيضت جلت من « انا » المبدع
للدائم ، واغاني فردريك نوافليس الدينية وكتابه « انشيد الى

قلت في مقالي السابق عن الرمزية ان ما يسونما الشعر الرمزي
هو بدعة المحدثين في اواخر القرن الماضي وهو تجربة قام بها بعض
ادباء الفرنسيين فتركت درياً في المحافل والاندية وكان لها من الاثر
مثلاً كان للرومانتيكي والواقعي قبلها . غير انها كانت قصيرة العمر
فاضمت ان اقوت معالمها وتفرق مؤسسو المدرسة الرمزية ابسدي
سبا يتبع كل واحد طريقه الخاص يدفعه فيه الميل الطبيعي واستعداده
الفطري .

على ان الاثر العميق الذي تركته في الشعر الحديث جعل تاريخها
مرتبطاً بتاريخ هذا الشعر من عام ١٨٨٠ الى عام ١٩٠٠ وما بعد ،
حتى ان عدداً غير قليل من الشعراء الذين نبهوا في هذه الحقبة ومن
الذين اطلق عليهم لقب الرمزيين وان لم يتروا الى الرمزية بسبب .
وكانت الغاية من الرمزية حركة تجديدية يقصد بها معاصرة
الشعر البارناسي والطبيعي الذين كانوا مسيطرين في ذلك العهد على
الادب الفرنسي . فقد ماتت الناشئة الجديدة جهلاً لا بلهه التي
ليس فيه على زعمهم الا تأليه القوة يبعث على الخشونة ، وتجاهل من
الخيال يسبح من رواء الديباجة وتوقير في الصناعة يسوق الى الابتذال .
فالشعر البارناسي يطرب الاذن دون ان يجد سبيلاً الى القلب
وكذلك الواقعي . وعلى رغم من شهرة زولا حينئذ واقبال الناس
على قراءة كتبه فقد قامت قيامتهم عليه ونشروا رسائلهم المشهورة
بتوقيع خمسة منهم يأخذون فيها على الطبيعيين ان يكتبوا بلغة
« الاميتيوس والاخبار الشقي » وان يحلوا البطن هدف الجائهم
كان لم يبق للروح الفرنسية نغمة تطل منها على الملل الاعلى .

على ان هذا لا يخلو من المبالغة او التعارف ، وعندي ان من اكبر
العوامل التي اثارت هذه الفترة في الادب هو شي . من العجز او التصير
في مجاراة فطاحل الشعراء السابقين ، او خط طريق مثل الشهرة التي
كان يتسعى بها بعض المعاصرين ولا سيما الفرد ده موزه الذي نال
من اقبال الناس عليه لذلك العهد ما لم ينله الا القليل حتى صارت
بعض كتبه ككتب الصلاة في يد كل فتى ونعت وسادة كل فتاة .
فلم يجدوا نذرة لهم من انتباه مملك جديد يلتف اليهم الانتظار

الليل . جلت الأيآن المريج الوحيد في كشف القناع عن جوهر الوجود . ومن حول هؤلاء شعراء مثل شار وغوته وشيلر يخلون بسبك الموسيقى والشعر وجمال الصياغة في قالب واحد . وكانت حركة الفن قد سبقت حركة الادب والموسيقى واكثر ماتردد اصداؤها على ملاعب التمثيل والاوزا في فرنسا على الرغم من مقاومة الشرعة العتيقة لها .

ازاء هذه العوامل المختلفة وفي ظل تأثيرها الم بالشيبة ما يشبه الشوق الروحاني، وواحدت تبعت عن اشخاص رمزيين التعبير عن الافكار . وكما كان الإنشاء التصوري غاية المؤلفين في الروايات والقصص فتحت هي مجالاً للإنشاء الموسيقي، أي أنها اخذت تتم بالجرس ورنه الالفاظ اهتمامها بالمعاني، وجمعت بين الشعر والموسيقى كما كان في الزمن القديم . بل ان موسيقى واغتر ذهبت بعضهم الى التفكير بانشاء شعر منظم الانغام يشبه العرف الموسيقي بمصاحبة الالات محتارين لذلك من الالفاظ اوسمها ورنياً واغناها احلاماً، فتشبه الى اشياء هي في الظاهر غريبة عن الموضوع ولكنها تدل على صلات خفية تربط هذا الموضوع بموضوعات اخرى اعم، لهم انهم ارادوا ان يفسر الموضوع في جو موسيقي وفلسفي بما ييسد صداه ويطلق مداه .

وبداه ان تسرقهم هذه المحاولات الجريئة الى الطريقة التركيب والانساق من قيود الوزن والقافية والنحو والبنية فالتفتوا بذلك من الشعر الاتكليزي . فالرمزية من حيث التصور اللاتية، ومن حيث المبدأ الانساني روسية، ومن حيث الروح حورية التركيب انكليزية . كيف تجتمعت هذه الانجزة المختلفة المصادر فتحررت في سما الخيال الى تطورات رمزية ؟

كان ذلك بفضل اثنين من الشعراء يحق لنا ان نضعهما في طليعة السابقين المبشرين بهذا المذهب: سانت بافريدولي . اما سانت باف فكان يقول ان الغاية من الفن ان يبعث في نفس القاري انفعالا بالجمال وهذا الانفعال ينشأ الجمال لانفعالات اخرى ايجابية - وتأيداً قوله يعود الى فكرة ديبدو التي سبق ان اشترت اليها وتوسعت فيها عند كلامي من التعديد في الشعر فكان مصادر الالهام لاتنحصر عند الشاعر في الوقائع التي تجري حوله، بل هناك من مرئيات الوجود ما لا نوليه عادة اهتماماً مع ان كلامها كما قال ديبدو يستطيع ان يقود الفكر الى المآلآياته من الاشياء .

خذ اللون الاصفر مثلاً فهو يذكرك بالذهب، ويذكرك بالبحر، ويذكرك بالمرارة، واذا تقللنا فيه وجدته لون الغضب والحوف

والحسد والغموم . والشمس عند غروبها تصفر من الم الفراق بموقد يقبض الجنون على غيط من القش اللامع فيجسبه شعاع الشمس ، ولا بد من نقطة يلتقي عندها الشاعر والجنون :

يا صاحبي تقصيا نظركيما تريا وجوه الارض كيف تصور تريا نهياراً مشمساً قد زانه زهر الربى فكأنما هو مقمر وقال آخر في الارض ايضاً :

يا لحر حملته في جيسي من ربيع الامال والايام وعناق الدماء في ذقة الب بحر وفي خضرة الشعاع الناعي فالاول رأى الزهر فخاله شاماً والثاني رأى الشعاع فخاله زهراً .

وهكذا القول في سائر الاشياء التي يقع عليها نظر الشاعر تخذ النتيجة مثلاً ، فقد تراه مقلة :

ليل الحزين هل هذي عيونهم ناموا فاطلمتها في الليل اقبارا وقد تراه مقلة :

انت تكسين بالغموم . . . وقد تراه مقلة :

والليل في حشته الرهيب كراهب يحبل الشموع وقد تراه مقلاً او صماً :

وانما تلمعت في الخيال حبسها سيقاً :

ان من يمشي بالنجوم غضاباً

وعلى هذا النحو نظم سانت باف قصيدته المشهورة « الاشعة الصفراء » التي اثارته كثيراً من النقد اللاذع بموضوعها ان الشاعر جلس يوماً كان يوم احده الى نافذته يراقب المارة فيسكتات الاشعة الصفراء التي يرسلها الشفق اكثر اصفراراً ذلك الماء من سائر ايام الاسبوع فتصغ سائرته البيضاء . . . ثم تمر بجواره ذكوريات الصبا وترانم الكنيسة فكان لبيب المصباح اصفر بواصر ايضاً لبيب الشموع والاضياء الزالج على جبين العذارى المقنع يحيل بياضين الى اصفرار . . . وبعد ان تذكر وفاة عمه له انتهى برؤيا الغزلة التي تنتظر الشاعر بعد موته : « ابدأ لن يصفروا لورد على قبري » تلك نظرية سانت يوف دعمها بالمثل فجاءت بمجموعة لحن شعري جديد .

هذا الفن الشعري الجديد قدر لبرديير ان يرم سطوروه ويضع دستوروه كما سقون في مقال آخر .

ترو فياض

ارض الميعاد



هبة الحب ، يا شمع رؤيا
 رعدة انت في عروقي ووحى
 انت ارض الميعاد ما سمح الله
 غر المن من سمائك صبراني
 فاطمان الصباح التذمر في بي
 وجرى الشعر من دمي ، واباء
 ياسنا الحب كياسنا الله كما انحرقت
 كان لي في الفرام قاب بقي
 حين مرت على جبيني بداعا
 وتلاشي لهاثها في جوى قلبي
 وطريق السماء في منسايا
 في دمي والنحي من نجوايا
 ياسنا ار بثلهما لموايا
 وفجرت كدثر من هموايا
 وعادت على ادعسي المشايا
 ما تعدي من العيان سبايا
 تاري الا ليقي سنايا
 وميون على الجمال بقايا
 واستعدت في هيتها عينايا
 تلاشت عليه تلك الخطايا

اباس ابو بك

العنصرية والاستعمار الإيطالي

بنام قنصل قلمعي

رئيس تحرير مجلة « الشرق »

□

ان التاريخ الانساني ، وانفي به أيضاً التاريخ غير المكتوب والذي نسميه عادة تاريخ القبائل البدائية ، ليس سوى حلقات متصلة من الفزو والحرب والهجرة : هو تصادم بين الجماعات يقضي الى اتصالها وكثيراً ما ينتهي بتألقها . ومنذ بدأت المدنية في المألود ، والنضال الاجتماعي والاممي يمزج الجماعات الصغيرة فيجعل منها جماعات اكبر ، فالجماعات الانسانية متجهة الى مجرى واحد كالتيها المداول الى النهر ، واتجاه الانهر الى البحر الكبير . ومهما كانت اسباب الاندماج ودوافعه بعيدة عن هذه الغاية ، فهو القاعدة التي سادت عليها البشرية ، واختلاط الدماء هو الذي ولد الشعوب الحديثة . ويؤكد علماء السلالات ان العروق النقية قد تلاشت قبل المرحلة التاريخية المعروفة (راجع ليستر وميلو في كتاب « الاجناس البشرية » ص ٢٠٧) .

ولم يعرف التاريخ فيما عرف من الشعوب ، شعباً زعم انه اقوى دماً واوفى جنساً من بقية الشعوب وجعل هذا الزعم اسماً يعطى عنه في كل ما يقول وما يعمل . فما لهذه البذرة العنصرية تنمو في العصر الحديث كعصر الدموه المكافحة الى المساواة بين الطبقات والشعوب ، عنواناً للنهج في التفكير ، وناساً لثقة في السياسة ، نسميها النازية او الفاشية او غير ذاك من الاصنام الدالة على التلو في الرجعية والانانية والارهاب ؟

قوام العنصرية في رأيي هو الاستعمار . انه الاساس الذي قامت عليه ، ولهدف الذي تسعى اليه ، والباعت على تمسك قادة المانيا وايطاليا بها واعتادها كنظرية عليا لا يدخلها الباطل ولا يدحضها الواقع المنسوس .

ونحن اذا عدنا الى التاريخ القريب رأينا ان الرأي العام الايطالي ، كان يجري مع الرأي العالمي السائر نحو التحرر من قيود التعصب الجنسي ، وكان عدد الخلاسين (وهم الذين يولد احدهم من ابوين مختلفي العرق او الجنس) آخذاً في الازدياد منذ سنة ١٨٨٥ في الممتلكات الايطالية في افريقيا . بيد ان هذا الازدياد المستمر احدث بعد الحرب بعض القلق ، فاقترح الاب جيني في سنة ١٩١٩ منع التزاوج بين الاوربيين والشعوب الملوثة ، الا ان اقتراحه لم

يتروك سوى صدى ضيف انحصر في الاوساط الاستعمارية ، وقام بعده الاب مورو سنة ١٩٢١ بنصح الاوربيين الذين استولوا نساء من المستعمرات ان يتزوجوه . ثم طلب المؤتمر الثالث ضد الرق المنعقد في روما ، من الحكومة ان تمنح الخلاسين الجنسية الايطالية . لكن استيلاء الفاشيت على الحكم قضى فجة على هذه التزعات القديمة ، وبعث آراء جيني بشكل مسرحي قوامه التهويل وتشويه الحقائق العلمية . وما زالت هذه الموجة الرجعية تطفئ وتشتد ، حتى وقب المؤتمر الرابع ضد الرق المنعقد في سنة ١٩٣٦ ، ينكر مبادءه السابقة ويدعو للقضاء على الخلاسين ، واعتبار الشعوب الملوثة شعوبا منحلة ينبغي ان يضرب حولها نفاق لا تعدده لئلا تقسد بدماها الملوثة دماء الشعوب الاوربية النقية .

على هذا النهج الاستبدادي ، وعلى حجج فارغة مزينة بزخرف البيان وبرج البلانة ، رددت الصحف الفاشية نعمة « الجنس السامي والجنس المنطع » و « الدم الصافي والدم اللوث » ا للسمع كاتباً اختصاصياً من محرري مجلة La Rivista delle colonie ه م . ديل موته يتحدث عن هذه البذرة :

يزعم ديل موته ان اختلاط بين الاوربيين وسكان البلاد المستعمرة ، يترجم لاربع : ١- تطفئ الحاجة الجنسية ابان الفتح على شعوب الاوربي وكرانه الوطنية ، فلا يأمن من الاتصال بنساء البلاد الغريبة ، في سوانح الفراغ من الممارك الدامية . ٢- اذا اتصل الاوربي ببناء البلاد المستعمرة ، يتعلق بين بدافع العاطفة اليهودية (واليهودية في الفلسفة مذهب يعمل من اللذة هدف الحياة الاول) ٣- قد يصاب الاوربي بالفساد الخلقي والفسخ العنصري فيؤثر نساء الشعوب الملوثة على نساء وطنه وعرقه . ٤- اما الاتصال الاخير من هذه الرواية المؤثرة ، فهو زواج الاوربي باحدى هؤلاء النساء ، فوهي تحوت الكرامة الوطنية ويتلاشي شعور الاوربي بانه منعد من جنس سام ممتاز !

واذ جلا ديل موته هذه اللوحة ، شرع بتعداد الاسباب العلمية التي يرى انها تبرر التعصب الجنسي . واثم لا تشيرون الا ان تدهشوا لتفاهة بل لسخافة هذه الاسباب : يبدأ صاحبنا بالاعتراف بما كان لاختلاط الاجناس من اثر كبير في تقدم البشرية ، اذ ساعد على تشكيل اجناس جديدة ، وجدد شباب الاجناس التي شاخت وجنحت الى الانحطاط . ثم يستدرك فيقول : « على ان هذا الامر لا يمكن ان يتخذ قاعدة عامة » فقد يكون التوالدين الاجناس المختلفة قاصداً كاحدث بين البيض والهنود الاميركيين

الذي انجب اختلاطهما الشعوب الاميريكية الراقية ، وقد يكون مضراً كاختلاط البيض والماليين . ويكون احياناً مشكوكاً في نفسه او ضرره كاختلاط الايطاليين بالايجاش . ولا نسدي حتى الآن : هل يرجع سبب هذا التباين في نتيجة الاختلاط الى عوامل بيولوجية خاصة بالايجاش التي يحدث التزاوج بينها ، ام الى عوامل فردية او اجتماعية .»

هذا كل ما يقوله ديل مونت عن العنصرية ، وهذه هي الاسس «العلمية» التي اعتمدت عليها وزارة ليسوتا اذ اصدرت في كانون الثاني ١٩٣٧ قانونا الشهير الذي اعتبر في الشعوب الملونة قطعاناً من السائمة يجب ان تخضع دائماً ليد الاستعداد . ولا حاجة الى القول بان تلك الاسباب «المشكوك في نفسها او ضررها» لا تدور ما اقتربت ايطاليا بسهام من الجراح في الحبشة والاريتريا وطرابلس الغرب . ان الحرب الفكرية التي اعطتها الجليات العرقية في ايطاليا على الشعوب الضعيفة ، مقدمة لحروبها الاستعمارية ، لم تستند الا على هذا النوع من البراهين . وكثيراً ما كانت تعتمد على التشجيل الطبي فيقول Rassegno d'Altromare : « يؤكد علماء الاجناس (كندا) ان الاري في يختلف عن الافريقي والاسيوي ، كما يختلف الانسان عن القرد » وتعلن جريدة l'Azione Colonial : « ان للامتياز العرقي اسماً علمية قوية » ومن الارجح اعتقاد بان اختلاط الاجناس يمكن ان يكون «ملاً من عوامل السلام» لان هذه التزاوية تناقض اسسط القوانين البيولوجية . - وعلى الوزير ليسوتا بلهجة عالم متعصب ، هذه القواعد الرئيسية للاستعمار الجديد : ١- ان استعمار الشعوب الراقية للشعوب المتخلفة يخدم المدنية خدمة كبرى . ٢ - لكي يقوم الاستعمار بجمته الحقيقية ينبغي ان يكون مدافياً وجه الشعوب المستعمرة ومائناً لها من الانتشار في العالم . ٣ - يجب التفريق التام بين الجنس المستعمر والجنس المستعمر . ٤ - يجب ان يرجع جانب الايطاليين في جميع المعاملات وجميع الحالات على جانب سكان المستعمرات ، والمغفرة التي تتغزلوا ولتلك يجب ان يعاقب عليها هؤلاء بالموث .» (راجع عدد ٩ كانون الثاني من صحيفة Politica derazza stampa) .

وبعد ، لم هذا اللغو في التعصب الجنسي والحد على سكان المستعمرات ، والحرص على عدم الاختلاط بهم ؟ قلت في مطلع هذا المقال ان قوام العنصرية هو الاستعمار ، واكرر هنا ان التفرقة بين الاجناس ليست الا ذريعة للاستعمار او وسيلة لتأييد سلطة المستعمر . ان ايطاليا التي واجهت في مستعمراتها معضلة جدية ، سببها

نشوء عرق خلاصي جديد ، نتيجة لتزاوج الايطاليين وسكان المستعمرات ، لم يكن لديها ما تتسلح به لمحاربة الخطر الذي يهدد سلطانها في هذه البلاد سوى العنصرية الجامعة .

ففي مجتمع منشطر الى طائفتين ، حاكمة وعصوية ، تفصل بينهما هوة العنصرية ، تكون الضمانة اولى لبقاء السلطة في يد «العرق» المسلم برقيه ، ودوام خضوع «العرق» المسلم بالخطاطلة . اما اذا نشأ بين الطائفتين عرق جديد مواد ، فان الطبقة الحاكمة تواجه المشكلات التي واجهها الاستعمار الايطالي في افريقيا بعد الحرب الكبرى الماضية ، اذ هب الحثاليون يطالبون المستعمرين بالمساواة المدنية والاقتصادية ، فوقف هؤلاء حائرين بين ان ينكروا على الحثاليين المساواة التي يطالبون فيتعربوا سخط الشعوب المحكومة ، او ان يعترفوا لهم بهذا الحق فيستبدوا تزوعا الى الانتاقت ولحومها الى الصعود . فلم يجد المستعمرون خيراً من ان يلوحوا بنظرية عنصرية يتبعون بها حقد الجنس ، ويقولون نوازع الوجدان هو يبررون باسم العلم ما يتقنون من آثام . ثم غلوا في مساهمتهم العنصرية الاستعمارية ، فاجلوا سكان البلاد الحاضرة لهم من السوول الحصرية فيها الى الجبال والصحارى . فني طرابلس الغرب مثلاً ، اعترفت البلاغات الايطالية الرسمية في سنة ١٩٣٠ بان الحكومة اقلت في هذه السنة وحدها ، ثمانين الف عربي ، من اراضي الجبل الاخضر ، وهي اخصب المناطق وطابعاً مناخاً ووفرة مياهها واكثرها عمراناً ، الى صحراء سرت القاحلة . وقد ابنت الجرائد الفاشستية ارتياحاً لهذا العمل ، وشجعت الحكومة على اللضي في هذا النهج . ولما انتقدت الجرائد الاجنبية ولا سيما جرائد فرنسا السياسية هذه الطريقة الاستعمارية ، كتبت صحيفة «جورنالي ديطاليا» : « ان سياسة ايطاليا الاستعمارية هي سياسة انسانية لكنها لا تعرف الضف ا » .

ولم تقتصر هذه «السياسة الانسانية» على اجلال السكان من المناطق الحصرية في بلادهم ، بل حملت على ايادهم بجميع الوسائل الممكنة . وقد أسفر الاحياء الذي قام به الجنرال غرانسياني في سنة ١٩٣٠ عن نقص مخيف في عدد السكان بلغ ٨٢٠٩٢٨ نسمة من اصل مليون ونصف المليون . (راجع الصفحة ١٤ وما بعدها من كتاب «الفطائع السود الحمراء والتمدن بالحديد والنار» والصفحة ١٤ وما بعدها من كتاب «حاضر العالم الاسلامي» ، ومقال الكاتب الفاشستي برتولي زاني في صحيفة l'Azione colonial العدد الثالث سنة ١٩٣٦) .

فدري قله في

الكتاب

د. مكرم الدكتور سارل مالك
استاذ الفلسفة في جامعة بيروت الديرية

العصر الأول : ان حياتنا القرائية تكاد تتكون عدها .
فالشباب الذي يعرف مل . نفسه من الادب الاصيل ، الشباب الذي
همه الأول ان يتقن روحه بقراءة الروائع الكبرى ، هذا الشباب
نادر جداً عندنا . فنحن لم نتعود عادة القراءة ، اعني لم نكن فينا
تلك الذلة الشخصية التي تتجلى الى بحالة جيازة الكتب وناضلها
ساعات من النهار في انزال كل . فمن اول ما يلاحظه القروي
الرائد لبلادنا هذا الكسل والحول القاطعان اللذان يدفعان بافواج
منا الى المقاهي حيث يقضون الوقت ، وبافواج آخر الى نوع من
الترفة الكلاية الرخوة التي تظلمهم مع الزمن عن اي مطلب رفيع .
المودة الغنية الى الكتاب ، التمتع العيني بقراءة الروائع ، الانفراد
الشخصي بالاذل مع الفكر المكتوب المسؤول ، هذه الخصال لا
اقلها واسعة في هذه البلاد .

والعصر الثاني من مشكلة الكتاب هو انه متى عودنا انفسنا
على بحالة الكتاب فلا نقرأ في الغالب الا الادب الرخيص . اما
المرجع ، او المصنف الشهيرة او الحيلانا الجامع او لغزونا فسير
المسؤول ، سلوا بانمي الكتب فيعييكم ان نوداً خاصاً من الروايات
هو الرائع هذه الايام . واذا فحسم هذه الروايات وجفوها من
احط الانواع التي يسف بها العقل والروح على السواء الى حضيض
انحطاطي فلما يستطيع الانسان ان ينهض منه . والبعض منا لم
يقرأ في حياته سوى كتب الدراسة فنحن ترك دور العلم ظن ان
ثقافته قد اكتسبت ، فراح يثر في الارض حكمه النالية ، مع
ان هذه الكتب لم يقصد بها الا صقل ادائها الفكرية صفلاً ابتداءً
يمكننا ، بعد ترك المدرسة ، من الشروع الجدي في تنقيف انفسنا على
يد روايع الفكر البشري الخالدة ، هذه الروائع التي تضجنا الى
« كيان » كتيب يبي المشاكل الاخيرة بفرح لا يوصف . وبعض
آخر يجمع ثقافته من صفحات الجرائد والمجلات ، مسع انه لم
يسمع بعد ان الصحافة الدورية ساهمت في خلق فكرة خالدة واحدة .
ولا احب هذا قد جاني الصحافة ، لان مبدأها من اساسه قائم على
غير الخلود ، اعني على ما يجد ويحدث ، والحادث الجديد شيء

الكتاب من اهم المؤسسات العمرانية ، فلا يستطيع ان يتصور
مدنية لم تنتج كتاباً ذكاً ، ولم تنهض من الناحية الفكرية الروحية ،
بل من الناحية الكيانية على الاخلاق ، على كسب خاصة .
فهو ميراث عند اليونان ، والوراثة عند اليهود ، والقرآن عند العرب ،
والكتاب المقدس في الحضارة المسيحية المتوسطة ، جميع هذه الكتب
عبرت عن حضارات مختلفة ساهمت في تثبيت وتشريك الحضارات .
ننتاز عن الحيوانات الحكم بهذا العقل الذي تفكر به . فتي
حاولنا نقل ما في عقولنا الى غيرنا في تفاعل اجتماعي حي ، اصبح
العقل نطقاً . اما الكتاب فهو على العدم تدوين ثابت لنطقنا
المائل بقصد نشره في المكان والزمان . وهكذا يكون الكتاب
سجلاً اميناً لخص خصائصنا البشرية ، اعني لغتنا الناطق .

واذا احببنا الدخول في عجم مدينة من المدنيات فخير وسيلة
لذلك ان نتفحص الكتب التي صبت تلك المدينة انفسها فيها
فيها . العقل في بدايته شيء . وجداني داخلي كلفني اصبح نطقاً
مدوناً خرج من فوديته الداخلية الى مسرح العالم وقاد
يوسع كل انسان ان ينظر فيه ويتقده ويحكم له او عليه . من هنا
نرى ان الكتاب اخطر المنتجات البشرية على الاطلاق ، والكتاب
اشد الناس مسؤولية في ما يعمل . فالتاريخ واقف له بالمرصاد ،
فان كان قد تصارع مع الحقيقة وبعبرها تصير صادقاً اميناً ، صفت
له الاجيال واستارت بنوره . اما اذا نفذ بعقله في قشور الاشياء
فحسب فلن يرجمه الزمن في الحكم المطلق الذي سيأخذ عليه .
فالتاريخ كما قال هيجل « محكمة العالم » .

ومع ان العرب احترموا الكتاب في عصرهم الذهبي ايا احترام
كما يشهد بذلك هذه الحزاة العربية الناصية الكتب والرسائل ،
وعبارة « اهل الكتاب » التي اطلقوها شيء . من الاجلال على
الحفاظين على التراث النبوي - فاشك ان للكتاب اليوم الحرمة
الوافية في هذا البلد . واذا عدت مشاكلاً الاساسية اضع مشكلة
الكتاب في طليعتها ، لانها مفتاح للسلمة من المشاكل تقع تحها .
وهذه المشكلة تتألف من عناصر اربعة :

المطالعة والدرس . فثبت مؤسسة داخل البيت لم نعرفها بعد المعرفة الكافية ، ولم ندعجها في صلب حياتنا العائلية . هذه المؤسسة هي المكتبة البيئية الخاصة ، ذلك الهيكل المكروي القدوس الذي نستطيع ان نتعبد فيه كلما طغى شيطان الضجر الكيافي علينا . فالبيت التي تعني بمكاتبها الخصوصية وتفتح امام اولادها الناشئين في ارشاد روحي صاف خلاق ، هذه البيوت نادرة جداً في السلم العربي ، ان لم تكن ممدودة على الاطلاق ، وهذا اغبر الروحي لا يخلق في هذه البلاد الا التي انتقلت العائلة عندنا ، لا حول مبدأ التفرات الطبيعية الجسدية فحسب ، بل ايضاً حول المبدأ المميز للانسان عن الحيوان ، اعني حول عقده وروحه . وبما ان العقل الاصيل النابض للمراقم يعصر معناه في تلك التطورات الخطيرة التي نسميها كتباً ، تصبح المكتبة البيئية محراباً مقدساً تقيسه العائلة في وسطها تسيجاً لاقرى قوة في الانسان ، لعقله الاطلي الفاصل بينه وبين الحيوان ، الجامع بينه وبين الله . وكل عائلة تعني فقط بالترتيبات الجديدة للحضة ولا تهتم ببناء مكتبة شخصية تتمركز فيها حياتها الروحية تجدد أقدس امانة تسلمها من الله . والجامع الكافر بهذه الشؤون المتعالية يماقب هو اولاد وامتة مقاباً أكيداً . فمشكلة المكتبات اخن لا تقتصر عندنا على كسلنا الطبيعي ، ولا على ميلا القماري الى قولبة الادب الرخيص ، ولا على اختفارتنا في اللغة العربية الى الادب الرفيع - مشكلة الكتاب تمدد هذه الحقائق الاليمية الى وضع قد يكون اشد ايلاماً منها كلها ، اعني الى وضع البيت ، اس الحياة الاجتماعية كلها . فشاكلنا الاخيرة من التسلك الوتبق بحيث اذا هزنا مشكلتها منها اهتزت لما جميع المشاكل الاخرى . فلو كنا اكثر البشر اجتهاداً وكذا لا نقرأ ولا نحب ان نقرأ الا الكتب العالية وكانت مع ذلك حياتنا الضئيلة فاسدة من اساسها ، لبيت قوة القراءة كلمة فينا ان لم تقتل مع الزمن على الاطلاق . فإلم تنقلب حياتنا العائلية من الاساس الجسدي القائمة على الان الى اساس روحي جديد لا يزدي الجسد ، بل يضعه تحت العقل والكيان الروحي الاسمي ، والم نكرس هذا الانقلاب بشي . حسي موضوعي ، اعني بتصنيف المكتبة البيئية في وسط العائلة لن تدخل مؤسسة الكتاب في دورة حياتنا ودورها الحي الفعالي في دورة حياة الامم الراقية . وهذا يعني انحطاطاً روحياً دائماً لا قيام البتة لاي شعب او امة عليه .

شارل مالك

والقديم الازلي شي . آخر . وقد ابنتي معظماً شابنا بهذه الثقافة الصحافية الاخبارية فراحوا يمدون كل ما هو طريف موهج . واختفت عن ابصارهم جميع ابعاد الحياقواعظاما . اما النحاليون الراديو دون الكتاب الرائع ساعات في النهار فيسكتبون مع الزمن مرضاً عصبياً يعدهم عن تقدير اي شي . روحي عميق ، الصكتاب الرائع لا يذوب منابه شي . في الوجود . رسالته تظل ثابتة الى الابد ، لان صاحبه رأى واجب واستجاب الى شي . خالده به تمارع العقول الجارية ، ومن صار عقلاً استوى على مرتبته ، على مرتبة العقل الجبار تنعم برؤى اخاذة لا يسمح الا لانصاف الالهة بان يروها .

وهذا يقودني الى العصر الثالث من مشكلة الكتاب : ان اللغة العربية ، بالمقابلة مع اللغات الحية الاخرى ، تنفتح الى احب اساسي لبني عليه حياتنا الفكرية الجديدة . واذا حصرت مقابلي في ثلاث اوربية ثلاث ، اعني الانكليزية والافرنسية والالمانية استطاع ان اعدد عشرات السلاسل من الكتب ، كل واحدة تضم مئات الزوائع مطبوعة بلماً انيقاً مضبوطاً رخيماً . يوجب المر . في اقتنائه وقراءته . وهكذا يوسع الادوري المثقف ان يلاء مكتبته بئات التأليف الكلاسيكية ويهل منها على انقراض ساعات فراغه . واذا اوجدنا في لغتنا سلسلة من منتا كتاب كلاسيكي فكتبة Classical Library باللغة الانكليزية ومكتبة L'évolution de l'Humanité باللغة الانرنية ومكتبة Onsel باللغة الالمانية - وطبعناها طبعاً شائناً حديثاً ، وأشرفت على نشرها هيئة مسؤولة من العلماء والمفكرين ، تخلق في نفوس الناطقين باضاد قبل نهاية القرن العشرين اكبر واعى ثورة فكرية عرفوها في تاريخهم . اما الان فتوجد في هذه البلاد منافسة متينة بين اللغة العربية واللغات الاوربية ، وبعض اسباب هذه المنافسة يعود الى ان عقل الطالب المتعطش لا يجد مع الاسف في اللغة العربية ما يروي به غليله . واذا استمرت الحال على ما هي عليه وتسر على الشاب العربي ان يجد في لغته ما يستطيع بسهولة ان يجد في اللغات الاوربية ، فلا يتطلع بارتياح متناقل الى مستقبل اللغة العربية . لا تحفظ اللغة الا اذا اتعت نفوس ابنائها الى الكيانات السامية في التاريخ . عندئذ تتطلب هذه النفوس الادب الكلاسيكي الخالد يجب طاهر لا يشوبه ظل رجعية او فساد . وتساء للنفوس تمتش النور ولا تجده .

والعصر الرابع هو ان جو البيت عندنا لا يشوق كثيراً الى

الحركة الفكرية في النمسا

كان زوال النمسا كدولة مستقلة كارثة تاريخية - سياسية وإنسانية والمانيّة في آن واحد . فأنمسا كانت تمثل ذلك الشكل الجرماني اللطيف بما كتبه من المؤثرات الجنوبية والشرقية والسلافية ، الكاثوليكي المصنف بالتساهل ورقة الطبع وسهولة الخلق والتعذيب والثقافة وبجعة الفنون والأدب ، والأقدم من الصائب المتطورة على تذوق الفكرة الألمانية الصحيحة ، وأدب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ويبدو أن زوال النمسا أقنع لألمانيا العسكرية السيل إلى بسط نفوذها بدون رادع فكانت الحرب ، وهي من عناصر القوى الروحية في ألمانيا ، وكانت شهوة الغزو عن طريق الأدب . ولقد بذل أساتذة برلين كل ما في وسعهم لحمل الناس على الاعتقاد بأن الأدب النموسي ليس سوى مقاطعة للأدب الألماني في الريح . والواقع أن الأدب النموسي أبعد ما يكون عن الأدب الألماني ببديل تأثره بالثقافة اللاتينية التي أغلق دونها جرمانيو الشمال أفكارهم وادوارهم . ومن الأمور المضحكة أن وحدة اللغة لا تعني وحدة الأدب فالأديان الإنكليزي والاميركاني ليسا أدبا واحداً والأدب عينا أن تقول أن القصص السويسري كارل شبيغلر الألماني لا يحكي قصته الرائعة «الربيع الأولي» باللغة الألمانية . وأدأ قلنا أن هرليتز وليمو وسيلتز هم أدباء المانيون لا شعراء فسويون . يكون قد جعلنا كل ما عله التاريخ من حيث الحضارة والفكرة والفن طوال مئة وخمس وعشرين سنة ، أي منذ تأسيس الإمبراطورية النموسية . سوى أن السياسة الألمانية بدأت في العشرينات التي تقدمت الحرب الحاضرة بتحويل الأدب النموسي عن تقاليده . وكان فنون باين ، وزير الريخ المفروض في فيينا وقتئذ ، من أشد العاملين في هذه السياسة . وإن يكن ثمة أجماع خاطئة تنسب إلى الثالث الأخير من عهد فرانسوا جوزيف بقيت حتى الانشلوس مسموعة الرأي كهوغو دفنستال مثلاً ، وقد يرجع ذلك إلى القوام المسيحي الذي يصف به جزء من مسرحياته ، فقد خفف الضغط أدب القسم الأكبر من أدباء النمسا كشتيتزلر وهرمن وبيرت التبيرغ وبيرهوفان .

وبما لا شك فيه أن هذا التحول هو نتيجة الاتجاهات السياسية الناشئة عن العنصرية وعن وجهة الأسامية في شكلها المتطري الحاد . وهذه الاتجاهات عرفت كيف تستمرها جميع القوى العاملة في خدمة الصليب المعقوف . قبل الانشلوس بسنوات أخذ الحزب الوطني الاشتراكي في ألمانيا يراقب أسواق الكتب النموسية في الريخ ليكره

الأدباء والنشترين النموسيين على البحث عن معاشهم . وما أن تقدر الاضراب عن شراء المؤلفات اليهودية حتى قتت حركحة الأقبال على أشهر أدباء اليهود ، وفي طليعة هؤلاء الإخوة العالم المبقي سيفوند فرويد الذي يشتم بشهرة عريضة في المقامات الفرنسية والانكلوسكسونية وفي سائر العالم . وقد أثبت انتطاع فيينا عن فرويد إن لا نبي يكرم في بلده . وفي عداد الأدباء اليهود الذين قد ملقواهم رواج عظيم في باريس ولندن ستين زويغ فقد اكروه هذا الأدباء على مقادة سالتورغ عندما حذف اسمه من مختصر تاريخ الأدب المختص لشباب المدارس .

كانت فيينا ، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الجرمانية طوال قرون ، تجذب إليها وتستقبل الصفوة الأوربية التي حملت إليها نفوذ الأدب الفرنسية والإيطالية وغيرها . وما بقي من هذا المزيج في الثقافة النموسية وتقاليدها التي ما يبرح فيها عرق من الحياة ينفي العنصرية نفيًا لا تزاع فيه . وبما لا شك فيه أن للنمسا ثلاث قوى كبرى تصون بها روحها هي لوفاء للذكريات العظمى التي يجلبها لوفاء لأمها الروثا البريليون للتراث القديم الذي قام لأجل السيطرة بين النموسيين والجرمانيين ، والشعور الإنساني الذي تنصف به الطبقات المثقفة ، والإيمان الكاثوليكي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالروح الوطني . وبما لا شك فيه أن النمسا تواجه ثلاثية الجديدة في الريخ الثالث . وبما لا شك فيه أن النمسا تواجه النموسية القديمة في الأدب النموسي انتقل من العاصمة إلى الأرياف وأصبح أقلية . كان الكلمة للمسوعة هي للشعراء والثلاثين التبوليين والكارنثيين والسيتيرين أي لأدباء النمسا العليا والسفلى كيلينجر وليندز وستروتر ودودلث ثرت وكرامر وهنريك سونو والدك وغيرهم .

وصفة القول أن الأدب النموسي المعاصر يبدو لمن ينظر إليه نظرة عارضة كأنه قد حال عن جهده الأول : والواقع أن هذا الأدب ما يزال عملاً بالكتاب والشعراء الذين عاشوا في العام ١٩٠٠ والذين تحدروا منهم ، أي يوراث ذلك العهد الثقافي الذي اشرب في روحه الانطلاق والحركة . وقد مثل العصر السامي في هذا الأدب دوراً من الأهمية على جانب عظيم بشهادة أسماء خاطيرة كآرثور سفيترز وبيرهوفان وفراوت ورفل .

وإذا نحن عابنا الحركة الأدبية في النمسا عن كتب اتضح لنا أن ثمة أدباء أقلية يمد جنوده في الأرياف وأن هذا الأدب يقوم على تقاليده الماثورة عن أطيب عناصر الروح النموسي . واتضح لنا أخيراً أن أدب النمسا يعيش اليوم في فترة تريب وانتظار .

المثال والحجر

بقلم صمدح الاسير

— حجرة مسجورة — والشمس بعد قطع القلم
في موكب الارجوان الشفقي —

المثال — ستلين ايا الحجر ، فهذا الازميل ذو الرأس الحاد ،
يعرف كيف يخط الحياة ... الحياة خطوط لا ازميل لها .
الحجر — كنت في كنف الارض ، دافئ ، جنبات ، توسوس
في جنبات الظلام ، كنت في عالم لا يعرف ظلاً ...
المثال — يخيفك الظل ؟ ...

الحجر — الظل نذير انذار كل كائن قائم .
المثال — انت وانا ، نعمتان في نشيد الدنيا ... نحن اصدااء .
الحجر — اصدااء تكونين مربع ، ترتعد من ذكراء ذوا برة
جبلي الابيض .

المثال — في جعدة النغم الاذلي اضواء وظلال ... نمة لا
تتلاقى فلة بقلعة الاعلى وجد .

الحجر — تعني ... اننا على موعد ؟
المثال — اف ... لا تستجلب مأساة وجودك ، فاذا عرفت
الان ، فما الذي سستمعه من الازميل ؟ ...

الحجر ، تعلو وجه غيرة مرتجلة كأنها يواقيت الدعوى —
انت بدوني ماذا ؟ ...

المثال — أحجر وكبرياء ؟
الحجر — الاظلال دائماً ، والظل ابدأ ...
المثال — خاطروا لم يتجسد ، وينطوي على نفسه في الظل .
الحجر — تلك فلسفة ثابتة لم تستقر .
المثال — ولن ...

الحجر — احس كف الشمس في الضلوع تبحث عن شيء ضائع .
المثال — وهذه الشقوق ؟ ...

الحجر — سراديب تنضج تليقاً ...
المثال — ما لولك ؟ ...

الحجر — الحرمان .
المثال — رأيتك في اثينا على صورة « فينوس » .

الحجر — أتمنت اوديسيوس يومئذ ؟ ...

المثال — بل انا خالق « ميترقا » .

الحجر — جواب أكثر عجيب .

المثال — طوفت بك اربعين قرناً ، واذعك ... انت غائيل
عصفت بها زوايع مجنونة ... قسكتلت وعادت حجراً .

الحجر — حكاية قديمة . انت من التراب والى التراب تعود .
المثال ، يمدح في الحجر بمحجرين انضريين كالنجوى — انت
عنوان عالم يعيش بك ، انت فهرس ناطق لعالم اخرس ...

(تبشير فخر عديده الرومانية لينط آية النهار)
الحجر — في شرق وانت تلوي علي ، الى تقبيل اناملك ...
أين الازميل ؟ ...

المثال — عاودك الحنين ، وتقمعت كل خلية في جسدك البارد
وعدت حاراً ...

الحجر — طريق سقطها مماً .
المثال — وقديكملك ازميل آخر .

الحجر — ازميل ولحد ... وتغير اليد ... أنني الشعلة .
المثال — اراك ترقص للشمس ... صكأمرأة غضة الزواء ،

تقل رجلها الصغيرتين على قم امواج حمراء .
الحجر — احب الشمس .

المثال — الشمس بدو ودود . تحب دوماً يا حجر مالا احب .
الحجر — امرأة على قم الامواج ؟
المثال — امرأة ، ثم ماذا ؟ ...

الحجر — ولن ترى الشاطئ ...
المثال — امرأة ، ثم ماذا ؟ ...

الحجر — ولن ترى الشاطئ ...
المثال — لا شاطئ . حيث انت امرأة .

الحجر — المرأة اغوار ... لا شاطئ . لامرأة .
المثال — لم يتغير صوتك ، فبهذا الجرس الابح حبيب الي ،

وعلى صفوة جانبك الايسر تهاويل باهتة تبكي .
الحجر — هذا الجانب كان يستقبل الشمس وهي آتية من

الشرق ...
المثال — الشمس المقبلة من كهوف الصين واساطير الهند ،

حيث تتدلى حبال النور كالافاعي ... وتقع ... فاذا لمست
جنبك الايسر غمرك العشق المشرق .

الحجر — هات الازميل .
المثال — كل ما بك ينوي ... قل لي متى تنسى ؟ ... ويومئذ

يأتي اليك الازميل طائراً ...

الحجر - انسى ؟ -

المثال - تنسى ما كنت وما تكون ...

الحجر - هب لي حيرة واحدة .

المثال - وتغذ الى يقين .

الحجر - افترض آخر رخصي .

المثال - ليتك لا تبي مرة واحدة .

الحجر - فاغذو امرأة من جديد .

المثال - كالتصاطب نفسه - سأصلبه مرة ثانية ... انه

يخس بذلك .

الحجر - في عينيك هاتين ارى وجهي المستعيل ، وشري

المرسل ، وشفتي الداهيتين ، وعيني في شبه غيبوبة و ...

المثال - واستقرع ...

الحجر - بعد طواف اربعين قرناً ... كلرحلة الاولى تماماً .

المثال - اربون قرناً ... لاصحابها في كتاب الكون الراكض .

الحجر - هات الارمين .

المثال - انت سحر طائف ، ووثنية ، غربة ، والتعاقة تقطر

استهماً ... انت ... من أين ابدأ ؟ ...

الحجر - دع رأس حياً ، ثم يبنني ...

ابتداءك بالرأس يوم التكوين جو علي كسريدا ...

المثال - الرأس هو كل شيء ، لا تقل علي شروط .

الحجر - تقراؤن الفهرس ... وتطوون الكتاب الى غير ما نشر .

المثال - العمر خلفات نواصر ... فلننقوه في اللغة .

الحجر - وتذكرني بعد ذلك رأساً لا جسداً له .

المثال - ويملكك سواي .

الحجر - جواب ترابي .

المثال - المهم ان تصبح يوماً مثلاً كاملاً .

الحجر - تفرغ همومك في تمزيبي ... وتذهب قروياً ...

واظل في انتظارك قروناً .

المثال - أما كان يمكن ؟ ...

الحجر - واهواك تذهب حتي ... وافني في انتظارك .

المثال - يشتهوني لاوليك في احايين ، فاشفق واتهد وانهار

في الصفاء ، ولكن ...

الحجر - ولكن انايتك لا تشع ، فهي تريد السلم غب

معركة موقفة .

المثال - وانت تكره الظل .

الحجر - اكراه الفناء .

المثال - يميل الي وانا ارى ظلي ... اني ارى موتي .

الحجر - وتؤدي علي صورة الانسان .

المثال - علي صورتي .

الحجر - اذن سأكون رجلاً .

المثال - بل المواتة .

الحجر - جنينة حديدية .

المثال - جأ . الارمين .

صالح الاسير

القبلة الاولى

بوسف الاول

ونفسه صلب ...
يصبح حب ...
هم على تعرف موت
يحبني ...
يحبني كل ...
وتنسى وهم ...
لست في احد ما ميت
معه جمع ...
حسي من اهر ...
دليت من حله ...

ضممتها بعصر من ضمت
بينة البوح يعقربها
للهب الطهر قومزيا
اشهد اللون باشقيق
ماطبق السر مستباحاً
تحبني ، جهد ما تحت ،
تحسي ، جمع التمني
وانشق الفوج من شذاها
يا قبلة كلها نعم
ولي بها غاية ترجى

العبقريّة العلميّة البريطانيّة

في

والمؤسّسات والجلّاءات العلميّة -

والتّاريخيّة وإن تكن الحضارة هيّة العلماء للبشر إلا أن الناس
يجهلون هؤلاء العلماء بل يجهلون حتى علماء بلادهم . فالإنكليزيّ
الذي لا يجهل أسماء ذلك Drake وفروبيشير Frobisher وكروويل
Cromwell ونلسن Nelson وويلنغتون Wellington وهيغ
Haig وجليكو Jellicoe وبيتي Beatty فإن الإنكليزيّ الذي لا

يجهل أسماء هؤلاء الأجداد من
رجال الجندية والبحريّة لا
يحدّ مضيقاً من الارتباك عندما
يطلب منه أن يذكر ما
يوازي عدد هذه الأسماء من
علماء بسلاطه مع أن هؤلاء
الذين ذكّرناهم من الجنود
والبحارة وإن كانوا من عظماء
الحقّ إلا أنهم لم يسفوا على
الإنسانيّة من الفضل ما سبّغه
عليها أمثال بويل Boyle
ونيسون Newton
وكافنديش Cavendish

ودالتون Dalton ودافني
Faraday وفارادي Davy
وداروين Darwin وهكسلي
Huxley وج . تومسون
J. J. Thomson وغيرهم .

وإذا نحن أقمنا نظرة
على الحركة العلميّة في إنكلترا

منذ عهد روجر باكون Roger Bacon إلى مطلع القرن العشرين
يتضح لنا أنه إذا كان العالم درساً دولياً على الخصوص فقد مشل
العلماء البريطانيون دوراً على جانب من الأهمية بحيث لا يمكن

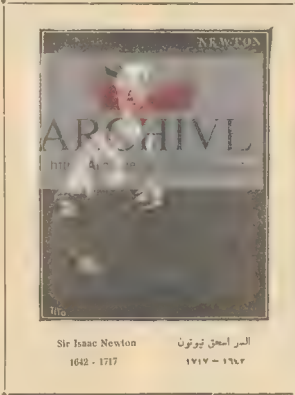
العهود التي تتجابه فيها الأحرار وتدور رحى الحروب
لا يسهل على الفكر إعطاء حكم سليم في ما يقع
من الأحداث ، ففي عهد « الإرهاب » La Terreur لم يتصل
بسوى عدد قليل من الباريسيين أن أحد اكتشافات لافوازييه
Lavoisier سيكون له من الأهمية الحاسمة في مصير الحضارة ما لم
يسكن لاعدام لويس السادس عشر Louis XVI أو ماري أنطوانيت

Marie - Antoinette

ولم يتفق لأي من معاصري
بونابرت Bonaparte أن
يوازن بين أهمية تراجع نابليون
Napoleon من موسكو
وأهمية اكتشاف برنار كورتوي
Bernard Courtois لليود ،
وعن تعيش اليوم في عهد
أشد اضطراباً وأكثر إهتافاً
وغرضاً مما سبق من العهود
بحيث يحل بنا أن نعيد
النظر في أسلفنا من الأحكام
والآراء .

ونخلص من ذلك حسماً
إلى أن الاكتشافات العلميّة
الحظيرة ، بالرغم من إقدام
البشر على أسوأ استعبد ،
قد أدت إلى تحيّل كبر أحد
على مصير الإنسان . وما لا
شك فيه أن رقيّ العلم ورقّي
الإنسانيّة واحد ، أن سكن

الحضارة مهددة في يومنا هذا فالعلم ليس أقل منها تأثراً بالخطر .
وليس لنا ما يقطع الدليل على هذا الفكرة أفضل من تدليلنا على مقدار
تخفيض ألمانيا لعدد الطلاب والأساتذة الذين يدرسون في المختبرات





Sir Humphry Davy

1778 - 1829

الکمو هنري دافي

۱۷۷۸ - ۱۸۲۹



Hon. Robert Boyle

1627 - 1691

اؤنورابل روبرت بويل

۱۶۲۷ - ۱۶۹۱



Michael Faraday

1791 - 1867

میکلایین فارادی

۱۸۶۷ - ۱۷۹۱



Joseph Priestly

1733 - 1804

یوسف پریستلی

۱۸۰۴ - ۱۷۳۳



Lord Rayleigh

1812 - 1910

الورد راي

١٨١٢ - ١٩١٠



James C. Maxwell

1831 - 1879

جيمس كليرك ماكسويل

١٨٣١ - ١٨٧٩

ARCHIVE



Sir Joseph Thomson

1856 - 1940

السري يوسف تومسون

١٨٥٦ - ١٩٤٠



Charles Darwin

1809 - 1882

شارل داروين

١٨٠٩ - ١٨٨٢

درس خصائص المناطيل واختراع كلمة «كهر» ، وكان في مقدمة
الذين دفعوا في انكلترا عن افكار كوبرنيك (Copernic)
ومسح بيوت (1687 - 1687) ، ادهرت المعارف العربية
ازدهاراً وعالياً ولا يزال هذا العهد الجيد متديداً الى
يومنا هذا .

اعطاء فكرة صحيحة عما اعطته العلوم والمعارف من غير ان تذكر
في الطليعة ١٨٣٠ هـ ، هذا العلم . وقد لا يدرك ان المقربة
العربية ظهرت حتى مدهاها سواها في اكتشاف مادي الصيغة
الجوهري والكروية او في اختراعت ميكانيكية التي اخترعها
العلماء الانكليز .



Lord Rutherford

1871 - 1937

لورد روثرفورد

١٨٧١ - ١٩٣٧



Sir William Bragg

1862 - 1942

السروليم براج

١٨٦٢ - ١٩٤٢

وقد تألفت جميت وهوبست عنية كالمجيدة ملكية
Royal Society والمؤسسة الملكية Royal Institution وجميت
مساهمة كبرى في تقدم العلوم والمعارف وسعت عن اكتشافات
هامة كاللجنة التجارية والدولاب ماني وغيرها من الاختراعات
البريطانية .

وبهذا تاريخ نعرف العربية بوجهها يكون
هذا الزمان من زمان القرنين توستلى ادي سكان في
طبيعة الذين اصروا على اهمية الاختيار في الاستقصاء العلمي .
وكان وليم جيليت William Gilbert اعظم شاهير عصره من
تلاميذ ماكسون ، فهو الذي طبق اسلوب الاختبار او التجربة في

الشباب طليعة الأمة

بفلم الدكتور فلسطين زربى

استاذ في التاريخ العربي بجامعة بيروت الاميركية

تكون الطليعة متطلعة ابدأ الى الامام . ان في اسمها نفسه ما يدل على النظرة الامامية التقديمية ، وما ينفي الالتفات الى الوراء . ومهمتها الاولى هي ان تحقق بنظرها النافذ الافاق ، وان تجسبل بصرها في ما يعترضها من سهول وجبال وهاد . تستكشف السبل وتبحث عن موطن الامن ومواقع الخطر . فاذا هي لم تفهم مهمتها هذه ، بل حولت نظرها الى الوراء ، او ترددت بين ما يوجهها وما تركته خلفها ، وقضت وقتها حائرة لانتظار نظراً واحداً مستقياً فقد أخفقت في ما تُدبِت اليه ، وجرت على الجيش الذي ارسلها الشر والحروب . وهكذا الشباب في الأمة المجاهدة : اول واجب عليه ان ينظر الى المستقبل الى الماضي ، ان يتطلع الى ان يلتفت ، ان يستكشف بنظره الحاد سبل الحياة الجديدة لا ان يكتفي بالتفني بالجد القديم والمز الثالث . عليه ان يكون في تفكيره وعمله تقديمياً لا رجعيّاً ولا حائزاً بين التقدم والرجية . التايات التي يسمي اليها غايات منصوبة امامه ، فاذا حول نظره عنها بالتلفت او الحيرة او الوقوف ، ضاع وضع امته وبلاده .

فليحيا شبابنا اذن نفسه هذا السؤال الاول : الى اية ناحية متفر بكثرة . يعاجل كل شاب مناهة من شر ما يمكن ان يصيب هذه الامة هو الا يفتن في الغش والفساد . ولا يكون بصر الشاب متدّاً الى الامام ، وان يكتفئ بالجز في الغش ويشير كوامن الألم ان يرى ابناء الجيل الجديد يمشون الجيل القديم في ما ورث هسولاً . من قيود الماضي ، بل يسبقونهم احياناً في هذا المضار ، لا عن اعتقاد واثان بل رغبة في ارضاء هوى وبوغ مأرب . هذا النوع من الشباب لا يؤدي حق مهته ، بل يزلز بامتة الشرور والاضرار ، لانه لا يعرف مقامه الذي يجب ان يحتله في المجتمع : مقام الطليعة ، اوهو يعرف هذا المقام ويتفني به ولكنه لا يدري ما يليق عليه من التبعات او ما يفرضه من الخصائص والصفات .

ومن الصفات التي يجب ان تتحل بها طليعة الجيش : التساهل واليعطة . ففي كل عكفة من الطريق خطر ، وعلى كل مرتفع وفي كل منخفض مخاني . لمدو هتربص ، وحول كل خطوة اشواك ومزالق . فكيف لها في مثل هذه الحال ان تهمل او تنهوا ، ان تتلغى بالشهوة العارضة او الرغبة الخاطرة عن الواجب المرسوم والمهدف المين ؟

وما قولك اذا ماتت وتقاقت ، فنامت في الطريق ، او نسيت ما انتدبت اليه ؟ الا تكون قد تخلت عن وظيفتها وقصرت بواجبها ؟

الحديث عن الشباب طويل منشعب يحار المرء من اية ناحية يأتيه وعلى اي نحو يسلكه . وهو حديث متجدد بتجدد الايام ، وما فتىء موضوعه منذ اقدم الاجيال يلهم الابداء . ويشير الفكر عند رجال العلم وقادة الاجتماع . على ان هذا الموضوع لم يكتب في أي من الصور الماضية من الالامية ما اصبح له في الآونة الاخيرة عندما عمدت الامم المتقدمة الى تقوية بنيانها وترسيخ قدمها في الحياة ، فلم تجد قوة تستطيع ان تقوم بهذا البعب مثل الشباب ، فوجبت له اوفورعتها وحرصت على ان تجهز جسماً وعقلاً وروحاً بما يؤهله لقيام بمهته الدقيقة . واذا كان هذا شأن الامم ، فطعت من سيرها شواهاً بعيداً ، فأمر به ان يكون من الغد في البلاد العربية وقد بدأ في مراحلها هذه واحدة مستقبل جديد يلوح في الافق البعيد .

ومن يطالع كتاب الادب . ورجال الفكر وصف الشباب تفتنا كثيراً ، وأطلقوا حياتهم النان فصوروه شتى الصور وشبهوه مختلف التشابه . فهو عندهم قلب الامة ، او عرقها النابض ، بل هو زهرة الحياة ، او ينبوعها المتدفق . او قل : هو الآلة المحركة ، او الرصكن المتين . ولعلك لا تجد تبييراً يصور معنى من معاني القوة والهمة والامل الا وترى ابناء الامم قديماً وحديثاً قد اطلقوا على الشباب وصراً لوانه المختلفة ووجوهه المتعددة . وقد استعرضت ، ما على ذهني من هذه الصور ، فلم اججد اكثر ملائمة للعباية الحاضرة واثد انطباقاً على مقام الشباب الحقيقي في الامة ، من تلك الصورة التي تجمل من الشباب طليعة الامة في جهادها . وتقدمها . اجل ان خير ما نستطيع ان نصف به الشباب ان نقول انه من الامة في الطليعة ، وان عليه ان يقوم لمجتمعه المتوئب بما تقوم به الطليعة للجيش المتحضر المناضل .

فا هي الصفات التي يجب ان تتسل بها الطليعة ، والتي ترجى كذلك من شباب الامة ؟ اولى هذه الصفات ، بلا مرء ، هي ان

وجلبت على نفسها وعلى الجيش الذي أرسلها اعظم الصعوبات ؟
ان التاريخ مليء باخبار الجيوش التي اخطت ، والمواقع التي خسرت
بسبب غلة الطلائع وقلة احتياطها .

وهنا ايضا على شابان ان يتساءل : ما هي درجة انتباههما
يحيط بامته من اخطار ؟ اتهمه هذه الاخطار ، اتتير قلته وخوفه ،
ام هو منصرف عنها الى المشاغل الطارئة والاهواء النازعة به كل
مترق ؟ أفي يفتله هو ، عينه مفتوحة ، اعصابه مشدودة ، ذهنه حي
متنبه ، ام في غمود وسهاد ، غمر به الاحداث فلا يراها ، وتحيط به
الخطار فلا يدركها ، ويسير في طريقه الشاق الوعر على غير نور او
هداية . كل شاب من شبابنا يفترضه هذا السؤال . ولا خير في
ان يتخيل احداثا جواب غيره من الشباب عنه ، بل الخير كل الخير
ان يجيب عنه هو نفسه اولاً ، فيجلب موقفه ويرضي ضميره ، لان
وهي الشبهة عموماً لا يقوم الا على اساس وهي افراحها - كل
بنفسه - وصياً صحيحاً كاملاً .

والثمة والبقعة يستغرقان صفة اخرى هي : **المصداق**
الخالصة الوجهة التي ترغف ازاء الخطر ، او تمن وتترافى اذ اجتاحتها
المصائب ، مصداق حتماً ينعش ، مائة خير . **المصداق** على ان
هذا قلنا يحدث في الاحوال المختلفة لان الصبر الاول في وقت
الذين يتخبطون ليؤلفوا الطليعة هو ان يتصوروا بالجرأة **الاولية** :
وعالماً ما يكونون من الفدائيين يطون حتى العلم ان الموت قديطع
عليهم من اية ناحية وفي اية برهة ، ولكنهم يخاضون مع ذلك
السير في الطليعة يؤمنوا جيشهم من الخطر وامتهم من الهلاك .

فا هي حالة شبابنا من هذه الناحية ، وهل يحتمون فعلاً هذا
المعنى الاساسي من كيانهم في الطليعة ؟ ليس المقصد بالجرأة هنا
الطيش والتهور . فالطليعة الصحيحة ابداً ما تكون من ذلك . انما
المقصود هو الجرأة الزينة ، الجرأة التي تقدر المقبات حتى قدرها هو تقدمهم
ذلك عليها دون هبة او وجل . وليست الشجاعة التي تطالب بها التي ترم
على الصياح والقنوط التدهيم ، فهذه اسهل انواع الشجاعة ، بل قد تكون
في اغلب الاحيان جيئاً اكثر مما تكون شجاعة . وانما هي اولاً جرأة
في التفكير ، تنور على الشر والضلال تهدم ولكنها تجانب الحقيقة
فلا تحشاهما ، بل تخضع لها صائرة مقنعة ، اذ في الخضوع للحقيقة
جرأة واقدم ، وفي الاستكبار والخروج عليها شر انواع الجبن
والخذلان . وهي ثانياً جرأة في العمل . وليس من الضروري ، كما

تعودنا ان نتصور ، ان يكون العمل باهراً خصباً ليتطلب جرأة
وشجاعة : فاهـان الفضيلتان مقصودتين على المواقع والشرودات
والحروب ، بل ان في العمل البائس الهادي . امثالاً من الجرأة
والاقدام ما لا يتجلى في اعظم الحروب ، واشد المواقع . وان لا
اريد ان استعرض هنا حالة شبيئنا لابين خطاه من هذه الجرأة
الحقة - الجرأة في الفكر العامل والسل المفكر - وانما علي ان
اؤكد بكل قوة ان الشبهة اذا طمت في ان تكون من امته في
في مركز الطليعة ، فقد وجب ان تحقق في ذاتها صفة اولى ، من
الصفات التي يتطلبها هذا المركز : الا وهي الجرأة والاقدام .

ولكي تصل الطليعة الى هدفها وتقوم بمجتها يترب عليها ان
تكون منظمة نظماً دقيقاً . والتنظيم صفة ضرورية للجيش ،
وللجيش بصورة خاصة ، والطليعة منه على الاخص ، ذلك ان الاخطار
الحديثة ، الطليعة تحم عليها ان تخضع لاشد انواع الانتظام والانضباط ،
وتتقن ، نعماً مطلقاً ان يكون كل فرد من افرادها قائداً او رئيساً ، اذ لو
سلك في طريقه ، وتحمى كل هواء ، فكيف تبلغ الغاية ويصاب
الهدف ، وكيف تتمكن العصابة الصغيرة التي تؤلف الطليعة من ان
ان تتأهل على ما يجابها من صعب ، وتعود الى جيشها سالمة كاملة
تدله على الطريق الصحيح والسبيل المأمون ؟

وهكذا الشبهة : اذا تفرقت قواه ، واختلفت اهاؤه ونوازهده ،
وشد بعضه الى هنا وبعضه الى هناك ، فلا أمل له بالقيادة ، ولا
أمل لامته بالتقدم او النجاح . فليقم هذا الشباب اذن ان الانظام
- الانظام في التفكير وفي الحق وفي الحياة الشخصية والعلاقات
الاجتماعية ، شرط لازم وصفة لازمة ، اذا اراد لنفسه او لامته ،
الفرز والفلاح ، بل مجرد البقاء .

ان امام الشباب العربي مشاكل كثيرة تطلع عليه من مختلف
نواحي حياتنا ، ولكن وراءها كلها مشكلة اساسية واحدة لا
تبدل : هي ان نفهم انه يجب ان نكون من امته في مقام الطليعة ،
وان نتوق لاحتلال هذا المقام ، وان نسعى لنكتسب بالجد والمراحم
الفرز والتقدمية والتبته والجرأة والانظام وامثالها من الصفات التي
يفرضها هذا المقام الممتاز . فعسى ان نفهم كشباب امية غائبة هذه
وان تعمل ويجاهد على ضوء هذا الفهم لنؤمن لامتنا السبيل المضمون
الى النصر والتقدم والنجاح .

فصلين درسي

علم



مال عنا الرقيب والبدد نانا
حلم لا يزال ملء عيوني
ففرقنا صباة وغراما
يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

لاح روض يجري حواليه نهر
تنفر الطير منه رقاً فرقاً
وتطير الاطياب عن جانبيه
ثم تهوي رقاً فرقاً عليه
فاختلطنا اليه نثنى الموبينا
حلم لا يزال ملء عيوني
يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

وعلى الماء ربحنا ناسنا
وحربنا من ناسنا
نطلق البوم ناسنا
حلم لا يزال ملء عيوني
يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

زودق بمنز العباب ودوحان على رقص الموج تفتنان
وحفيف الضنون مسدة ناي ورفيف الطيور رجع كان
ليت نور الصباح ما لاح او راح ينهي عن الفناء النياما
حلم لا يزال ملء عيوني يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

قدود بمنز

الثوب الممزق

بقلم سويل ادميس

لم

بعض حد من الغرويين لامر «عجاج» يختلف صبح مساء الى العين دون ان يبغي فيها شيئاً ، ولما يقتصر على الجلوس في ظلال شجرة جوز وديقة على مقربة من مياه العين ، ينو اليها تنهل صافية مترققة في ذلك الحوض الكبير . . . وقد يل هذا المنظر الرتيب ، فيأخذ عوداً ينكث به الارض ، وهو في كل ذلك يفكر محموراً متوزع البال ما يستقر به اضطرابه لحظة . . ان اربعين يوماً قد مرت عليه في مثل هذه الحال من القلق المضى ، والحيرة المزعجة ، يلتبس تقريباً قايوقى ، حتى خال انه سوف يقضى عشتاقاً ، لكثرة ما صدر من الآهات تنفث صدره وتقرح حلقه .

هو لا يذكر الا انه رغب اليه يوماً ان يلا «الجربة» من العين ، فشى اليها على هيئة ، حتى اذا بلغها بصر بنته سافرة تزدى نوراً اخضر اللون ، تود أدراجها الى دارها القريبة من العين ، وكان سناء العيش الحظيل والحياة المترقة الناعمة ، تشبهاً على وجهها البض ، فما شك «عجاج» في انها من هاتيك الفتيات المدينيات اللاتي يقضين مدة الصيف في الجبال ترويحاً للنفى وطلياً لفرقاهية .

واتبها عجاج نظره ، حتى وقت السلم ، ثم دخلت الدار وكأغلقت الباب على تودة . ولعل اغلاق الباب هو الذي ابنت فيه ذلك الاضطراب الملح - فقد هداه تفكيره الساذج الى انه لو لم تنلق الفتاة الباب لكان يقدر ان له يلقي عليها نظرة اخرى يتحرق الان شوقاً لان يحس نعيمها ، ويشرب بلقيتها الرخية ا

بيد ان الذي ترك في نفسه اعمق الاثر من تلك الرؤية الاولى ، هو ذاك الثوب الرائع الذي تماثل خضرته لون هذه الاعشاب الزاخرة ، التي تذكر الربيع الاغر : حلم الفؤاد وصوبة الروح .

كان ذلك اللون انى رآه يبعث في نفسه شعوراً قلقاً ، لكنه شعور عميق كأنه نشوة حارة ما أشبهها بنشوة النائم اسقيط يهدو على مرس حلم سكر له .

ويتابع «عجاج» عمله في حقل ابيه شارد القلب محموم الفؤاد

ينتظر ان يفرغ من الحراثة كيما ينطلق الى العين طائراً . . . ومع ذلك ، فانه كان قلما يرى الفتاة في تلك الساعة المتأخرة من المساء ، فكان يقلل كسلف البال ، متعطم الامل . . . وكذلك قضى ما ينوف عن خمسة عشر يوماً لا يتاح له ان يبلغ العين الا في السادسة مساء ، فلا يتيسر له ان يرى الفتاة المدنية الا غراً . . .

وذلت يوم ، ازعم ان يقلع عن ارتياد الحقل الذي كان يتعمده بالحراثة والري ، غير عالى بما قد يجره عليه عمله هذا من غضب ابيه الشيخ ، ومن حنقه العنايم عليه . وعزف كذلك عن التردد الى العين . . . حيث ختمت فته من الشباب لامهم هم الالتئادر وأحدث وقص قصص ما تخو من فحش وخلاعة . . . وما من

ساعة لا يحضره تلك الاحديث والروايات كانت نذبه الى تحول ما نذفت الى حين منتهى . . .

الى ذلك المجلس المأذني الرقيق ، ان بقضاً شديداً يتعجر من صدره قوياً زلخراً مستهدفاً اولئك الشبان الفاسدين والسوقة الظلف . . . وكيف يكون هو منهم ، وهو يشعر منذ ذلك الحين بنفحة نورانية تتسرب الى صدره فتسمعه بيد الطهر والفسحة ، فما يراوده من الاحلام الاكل ناعم ري . وما يبر عبليه الا عاصر الامل . . . ولا عجب ، فان امل القروي قد ما يشبه امل . . .

ومع انه الى العين ، يمكن المحال يتبع حجاج ن يرى الدبر الا من غير تمييز لاجزائها ، ولم يكن من سليل الى الدنو منها اكثر مما هو دان ، فتنع مجلوسه حيث هو ، واجترأ من رؤية الفتاة بتردها الى الشرفة المطلة على العين . . . وما من شك في ان الذي كان يؤذن القتي مجروح الفتاة ، لما هو ثوب اخضر . . . واذ ذاك فحسب تشرد في صدره اضطرابا الصباغة في وحشة العزلة ويتأثر الحنين في القلب الظلمي . . .

ومكث عجاج زمناً غير يسير على ترده الى العين من غير ما عمل ، يذبح النهار كله معلقاً بالشرقة نظره ، يتعجل الفند كان ليس

بلغ العين على أشد ما يكون من التعب ، وكان يلهث ويصعد
انفاساً طويلة - وتشرف لحظة الى حقله ، فلقى الفتاة تقف روداً
واقفة الحيا تكاد يسمة ان تطفر على شفتيها ، وتابع سيره حتى
اوشك ان يجاذبها في الحقل ، وهو على ما هو عليه من لثا وتفس .
ونظرت الفتاة اليه باغراء وبادرت به بسمه عذبة ، ثم قالت :

- بلى ، ان هذا الحقل يخصك ، رأيتك طولاً وترعه وتسقيه .
فتوقف وقد على مزيج من شعور الدهشة يتسرب الى صدره ،
ومكثت خاطلة حائراً - بيد انه لم يرد ان يحسك على صمته على
الزغم من هذا الحق الذي يقل لسانه ويتساهى الى اذنه شديداً
قويًا يملك عليه صمته ، وحين عزم على التكلم ، القاهما تنظر اليه
بفضل - قال متلماً :

- ليس هذا الحقل .. ملكي . ولكن صاحبه رغب الي
ان اتهمه ..

فادت اللمعة المذبة تراودها الترمزي ، واذا لاحظت ان
هش حجاج يشدد ويزداد اتسمت حدقتها شمع منها يريق الجمال
الغامر ثم قالت بهدوء ووراعة وبهي من التعجب :

ولكن ما تلبث ؟

لم تسمع يجازي . بأ حين شعر بدم يطرق في وحشيته
فأدركت ان شفتي الفتاة تغزل لانسكركم لكن
وعلى تودة رفعت ذراعها ، واستندت
الى عصب شعرة داية ، فكانت وقفتها فاتنة خلاصة ، ثم امرت
يدها على شعرها بمنية ودلال ، وسألت :

- ما اسمك ؟

فصيح عجاج كل العجب ان تكلمت معه هذا الوقت تسأله
وتحدثه كأنها حية به ، يد ان هذا العجب لم يكن ليذهب ما به
من اضطراب وحيرة ، وليس ادل على ذلك من جوابه هذا -
ولكن لماذا .. تسألين ؟ .. نعم ، اسمي انا ، عجاج !! واذا تلفظ
باسمه ودان سسمه عبر نه خشي الا تروقا بسمته فكبتها على
على مضض بين شفتيه ، واذا ذلك رفعت اليه بصرها ، وقداوردوا
الاستغراب ، وقالت بشيء من التهكم اللاذع :

- عجاج ! .. ما هذا الاسم ؟ .. وما معناه ؟ .. حقاً انه
قروى !! ..

لم يرد ان يستمع الى كلمة واحدة بعد «عجاج» التي لفتها ..
بشفتيها هي .. ولم يود ان يفهم ما تقصد من جلتها .. ان هذا

ولكن عن فكره ذات اصيل ، ان يستأذن صاحب الارض
التي تحب البين في ان يلقها ويوزعها ويتهددها ، فأذن له صاحبها
لما عهد فيه من جد ونشاط واثالة ومثابة ومناه ببيض المال .

ويومذاك فصب ، استثمر عجاج في قلبه دعة وأمانة وحس
يزوال ذلك الارتباك وتلك الحيرة يبروانه اما حاذي الدار . اما
الآن فله ملء الحرية في ان يختلف اليها متى شاء . ولقد شرع في
عمله وهو على أشد ما يكون من النشاط ومن التفرغ ، وعني بمجمله
ايما عناية .

وتقاعد - ذات يوم - شغل عن الذهاب الى حقله ، فاحس
الشوق يحيل عاطفته فأراد مشبوبة ، وما ان فرغ من هذا العمل
الطاري حتى انطلق الى العين تسلاً . . . وواجه حقله ، فابنات الفتاة
ذات الثوب الاخضر متصية منه ناحية مظولة بشجر جوز ، وكانت
مستلقية على العشب تقرأ في كتاب ، فشر عجاج باختلاجة تسري
في صكيانه ولم يدر أي عائق استوقفه دون التزول في حقله .

ووقف في ذهنه ان لم يبق له أي حق فيه ، واذا ، ليس في ملكه بعد .
ولبت حيث هو لا يرفع بصره ولا يرمي - وطال وقوفه . فكان
ان شمعت الفتاة بوجوده ، فالتفتت لفظة ولاحظت ارتباكها . . .
فاستوت قليلا وارادته :

- هل هذا الحقل ملكك ؟

فالتفت عليه القول ، وكاد بصره يزيغ عبر انه تقدر له ان
يبس بجفوت :

- لا ..

« لا » واذا ما بالي واقفاً ، وليس يعني شي . ؟
احد يسير في طريقه . . . لم يكن سزال لفظة لا معاد ،
لا يكن دردا . . . و « ارد » مع ان يصب ، وبصكه لم
« يستطع » ا واني له ذاك ، وان رسم الفتاة الباردة الجمال بثوبها
الاخضر الرائع يطلع في ذهنه انطباعات ، فيسبح على قلبه من
الحنين والحنان . . . وتابع سيره بترقب يحزن تمتلج في صدره نوازع
شقي ، ويضطرب في فؤاده مختلف الشعور ، ومن خلال ذلك كله
تبرز صورة الثوب الاخضر ، فتستكي حواسه . . . ولبت يسير . . .
لبث وقتاً طويلاً يشي كأن « وهما » بيداً يجتذبه ويستدعيه
اليه . . . وكثيراً ما يجذع الهم الحس ويجلب المشاعر . . .

ونظر عجاج فجأة ، فاذا هو مشرف على القرية الجسورة .
فارتاع واشفق ، وانتقل على عجل وراح يرف في سيره في طريق

الجواب لا بد مرض .. واذا قد سمح لشور الاطمئنان ان
ييمن عليه .. وتنفس الصدا ، ورفع اليها بصره نشوان جدلاً ،
ومهد جلته التي سينطق بها بسمة قروية عريضة ، وقال :
- حقاً .. انك حلوة ..

فامتحت الفتاة فجأة كأنها اقامت من حلم وسارت بقول هذه
الكلمة واحدة التي تطوي على معيين اثنين : «لها الفاعل والنية
والاعجاب وآثرهما يتم عن مخبرية لا ذمة وتهكم مر :
- صحيح ؟»

فنظر عجاج اليها وقد بدأت الحية تتجلى في عينيه وعلى تقاطيع
وجهه . ولكن الفتاة لم تطفى . بسببها فادعجاً بعض الاطمئنان ،
وقال في شيء من الحجل والاسى ، وقلبه ينفق شديداً :

- انك جميلة جداً لا حد له .. ولهذا فاني .. احبك ..
لم تدعه يتم جلته حين التفتت اليه بانفاجضة ورعشة ، ونظرت
اليه متسمة الاحداق وقد كست وجهها ، سحمت من الغضب .. ولبثت
امامه لحظة ثم رمته بنظرة مسخطة وقالت بالتمترار :

- حقاً .. انك لاجم ..

وانطلقت الى دارها ..
وفي امسية ذلك اليوم حين اوى الى فراشه ، شعر بالاضيق
من ضنائه فصعقت من اللوعة والاسى ، شياً .. كالماء
توقفته من .. فيستوي في فراشه جالساً ، يشرب عذوق في هذا
الليل البهيم كأنه حارسه الامين ..

سلك اسبوعاً في داره ، لا يتقدم الى الحقل ، كأنها وعان نفسه
على الا يتنفلت الى العين لقط . ومضى على ذلك خمسة عشر يوماً
ولكانت اكثر من ذلك لو لم يقبل صاحب الحقل غاضباً حانقاً
يعاتب عجاجاً ويؤلمه . ويتهدده بالحرمان لتركه الحقل هذا الزمن
الطويل دون ان يروى . ولم يكن خوف الحرمان هو الذي دفع
عجاجاً الى وعد الرجل بزيارة الحقل اذ يصح ، ولكن شعوراً مذبذباً
يحاول مما كبته شب في لحظة واحدة وملك على القروي القتي
ارادته وعزمه ..

وما ان انشق عليه الفجر حتى نهض وقد عاوده من النشاط
نصيب وافر ، واضطرب في فؤاده امل جديد . وخرج من داره
يحمي لهذا النور يفيض فيلداً الدنيا اشراقاً ، معنى جديداً لا عهد
لفكره به . ولكن تلك الذكرى لم تكن تردده عليه فتبعث الله
من جديد ، وتشر فوق ضميمه وشاحاً من الظلمة الحالكة تبعه عن
اليأس المرير . وهكذا وصل الى الحقل يتلجج في صدره شعوران

متماكسان انتصارهما سجال . وسقى الحقل ماء غزير ، ثم انتحي
صخرة . ومقعة جلس عليها يرتقب ان تطل الفتاة على الشرفة كدأها :
ولم يقع عن الشرفة ، واذا حانت منه الفتاة فرأى تحت الشرفة
الثوب الانضر الرائع ، منشوراً على جبل فأحس برد السرور والبقعة ..
ولكن .. ما لبث ان احس حر الاسى المكتون واللوعة العذبة ..
ان النظرة الاولى الى الثوب ذكرته لون الاعشاب الربيعي
صورة الربيع الابر : حلم الفؤاد وصورة الروح ، فاذا نفحة النشوة
توقظ مشاعره وتحمله الى اجواء عاطفة بالسحر والفننة : والنظرة
الثانية لم تره الثوب الا اسود حاكماً ييمث الرعدة : ان هو الا
الوشاح المظلم الذي يرف فوق ضميمه ..

وهكذا مكث من الصباح الى الظهيرة يتنازع ذاك الماملان ،
والفتاة .. والفتاة لم تكن لتطل من الشرفة ولا يظهر لها اي
اثر كأنها البدر قد خلت من ساكنها ، ولم يفكر يومئذ بطعام ..
ولم يحس الضدى .. لم يحس الضدى لان المياه كانت على قاب قوس
منه ! ولت على الصخرة ساعها عموماً حتى كادت الشمس ان تغفل
.. كان لون .. يحمي في فؤاده مولد الامل وطوراً يطغى
نور الربيع .. وألقى نفسه ببعض على مهل ، وقد بلغ به الاستغراق
.. كان كل شعور احس ..

لشغف رحالة قد رآه الى داره . ولكنه اذ نصف الطريق ،
انفلت فجأة ، فأحس صدره يطو ويهبط فكان يتسع حتى ليحوي
كل شيء ، وينقبض حتى يضيق عن اي شيء ..
ولطق بعدد بسر وجنون في الطريق الى العين ، واذا بانها
رمي بنظرة الى الشرفة ، ثم استأنف اسرعه ناحياً نحو البيت حتى
بلغ السلم ، وانطلق .. فاذا الثوب لم يزل على الجبل .. ودعم
خطوتين والهات يشتد به ..
وكان على وشك ان يوقع يده الى الجبل ، حين برزت الفتاة
فجأة من وراء اذار متجهة جبة الثوب .

اخذ ينظر اليها محمداً ، وهي لا تتقرع عن التندم . وكانت منه
على قوس حين افترقها عن بسمة عذبة كومضة الشفق وتهادت
في مشيتها ، واذا مجدقيتها تسمن فيشع منها يريق الجبال الفاره
وبادرت قائلة برزاة وهود . وبشيء من التعجب :

- ولكن .. لم تلهث ؟
فانتفضت انتفاضة سريعة ، وتذكر ان سمع مثل هذه الجملة ،
فصبطت عيناه ، وعرفته رعدة هزت كيانه هزاً لم يهدأ ..

ثم دفع يده الى الثوب ، وانتزع بهدنة عن الجبل بعروه شعور
عصي لا يسبل كبته ، وحين انقلب الثوب الاخضر عن الجبل برقه
لي منه ، ووضع طرفه فيه بين اسنانه ، ثم شرع بتزيينه بحركات
مهتمة ..

وكان يصهم وهو يترقه ..

ولم يكن في طوق الفتاة ان تتزعج من الثوب ، فاستجبت
لصراخ .. وحين سمعت صيحه الاولى مع اقروى فترك الثوب
وعلت من بين السراويل ، وتداعى بيده مسترحه ، وجور ..

وحين انته الفتاة على هذه الحال من الوهن تقدمت منه على
حذر خطوة خطوة ، وخطفت الثوب من يده الحائرة ثم انطلقت
قاصدة السلم مذعورة مبروعة .. اما هو فبقي لا يعي من الامر
شيئاً .. وكانت على وشك ان تلج باب دارها حين انقذف عجاج
حبيب .. حذر .. من ذراعها وانتزع الثوب منها ثانية ..

ولم تحم الفتاة مندوحة عن ان تستأنف الصباح .. واذا بشاب
يعز على الباب مندهشاً قد راعه صراخ اخته ، ولكن قبل ان
يتهيأ للفتاة ان تؤذنه بشيء ، كان عجاج قد اسلم للريح سر به ..

في طريق البيت ..

بلغ داره منهوكم متعباً .. وتسلل بخفة الى غرفته ..

صدر كتاب :

عُجْمَرَفَاخُورِي

لا هَوَادَة

مَنْشُورَاتُ الْاَدِيبِ

يطلب منه جميع المان

التمه ايرة بنانية

الفيليبين ولبنان

فلم امين القرب

تري

عن : علاقة الفيليبين مع لبنان المحلي على اجمع
بهم في عهد عدل احسن العلاقة، ووحدة وهي
متنوعة مختلفة، مساندة على قدر ما يسمح لمحل

الفيليبين مجموعة جزر في بحر احيى يبلغ عددها بين كبيرة
وصغيرة ٧٢ آلاف جزيرة اكتشفت اربعة ابريقا في فوس ما حلال

الذي طاف حول الارض وهوب اسمه للمضيق
الشهير الذي كان هو اول من عبره في طرف
اميركا الجنوبية . لكن بعد اكتشاف الفيليبين
لم يكمل رحلته حول الارض لمحض ان اهله
كافأوا هذا العالم للمسكين الذي فتح اعي
الدنيا عليهم باغراض عينيه عن الدنيا اذ فتاوه
سنة ١٥٢١ . وقد دعيت هذه الجزر في

نسبة الى الملك فيليب الثاني الذي كان وقتئذ
ون عهد ابيه شاركان فيكون عبر العالم
الآن في عصر العالم المتقدم ٢١ سنة امان

مساحتها فيبلغ ٣٠٠ الف كيلومتر مربع في
انها اكبر من لبنان عشرين مرة . يمكن

الحلال فيها قليلة ، وسبوه من حطب ارض له ، وكلها صالحة
للزراعة ونباتها الشجرة واسعة سطح ٣٢ مليون فدان حتى يقل ان
كنيسة اليسوعيين في مايبلا ، اخود حطب من شجرة واحدة . وهذا
نصر اليها اليابان اشرف

الفيليبين لم تنسج للاستقلال يوم . من عاقت على حكم
ساعا جاراته الصين وداوى واليابان . حتى جاءت ساياف استعمرت
نحو ٣٢٠ سنة . وظلت بعد استعمارها من طويلا تدفع حريصة
سوية لليابان بحجة ان هذه صالحة لسيدة المدينة على هاهنا الفيليبين
الوثنيين .

سنة ١٨٩٨ كت اقم في فيلادلفيا من اوليات المتحدة اد
شعرت الحرب بين هذه وبين اسبانيا . ولا زال ذكر جيد كيف
ذهب الاسطول الاميركي الى مايبلا بقيادة الاميرال جورج ديوي
فتح الفيليبين بعد معركة صغيرة تذكر من بعدها ان القيادة

الاسيابين قنوا ديوي : « نحن مسلمون ولكن يجب ان نطلق علينا
معن المدافع فيقتل خمسة حدود كيرالينا القنوب الاسياني الذي
يبيع التسليم بدون حجارة » . وقد اشغعت « ما كاسيد عقد الضم
على امدولة المتورة الفقيرة ومسكها الفيلع اعوسا اثلث شرفدعت
٢٠٠ مليون دولار ثمة للفيليبين في اربع حالات كل منها خمسة

ملايين . ولم تكن حكومة واشنطن دافعة
بالاستيلاء على الفيليبين بل طامعة بتحويلها
وتسليمها الى اهله ، كما فعلت في جزيرة كوبا
التي حررتها وتنتد من الحكم الاسياني . فعد
دربت اهله على الحكم الذاتي حتى تعلموه
فتركتهم وشأنهم . ثم قامت قيامة بعضهم على
بعض فبسات الى احتلال كوبا ريثما تحسنت
احوالها ثم تركها . اما في الفيليبين فقلت
من باليس ودرستهم على الحكم وعلمت
الى تركهم ، لكن راعت كخافهم من

سابع حيزاهم هم ومن اعق الاهلية بينهم
ولست رعة لمسكروهم في التمتع بالحريصة

الشعبية والادارة الداخلية دون لاستقلال الخارجي فبقت سددهم
بصورة استشارية حذرة خفيفة افضل اي عام ١٩٣٤ د . علمت انها
تركهم تركا نهائيا بعد عشر سنوات اي عام ١٩٤٦ . ولا تزال
عند من تلك السنة قصاصة من « جريدة لندن تيس للمقابلة » عادة
تقول فيها « ان انتعاش اميركا من افيليبين بعد حادثة العسل من
احسن الفضول في تدرج الادارة الاستعمارية » .

وكي تعلموا لماذا ان التيس هذا اقول ان اميركا لم تستجده
في الفيليبين اضطهاد ولا ظم ولا ارقاء بل عطفوا واحسانا وشقة
ولا ذهبت اللاحقة الاميركية الاولى لتولي ادارة الجزر بعد الحرب
وردها . ويم مكنتي رئيس اوليات المتحدة تسليمت صارت دستورا
اسبابا للموضوع كبارا وصغارا في الفيليبين وهذا تعريب الحربي
« في جميع انواع الحكم والادارة التي يعرض اليك سبيلها في
الفيليبين ليكن نصب اميسك دالسا ان الحكومة التي تشنوب



فرديناند دي ماقوس
مكتشف جزر الفلبين

للساكن والمزارع - وكان اغنيا الاميركيين يتسابقون الى مد يد المونة المالية لشروعات الحكومة الاجاعية . والجرائد الاميركية لا تترك شاردة او واردة في كل موضوع ، فكانت تلاً صفحاتاً ، على هذه الجيوش الجديدة الجارة ، للتعليم والتهذيب والتدين والحضارة ، تزور اميركا الفيليين بالكتب والادوية بعد ما فتحها بالسيف والمدفع . ولا يقوم من الاهالي من يسند على حكومتهم ، يحسار الارراق وقتل الدس حوءاً طامعاً بتكثير مكاسبه الدنية .

وما كانت نتيجة كل ذلك ؟ مضى على اميركا اربعون عاماً في الفيليين . كان عدد سكانها ١٠٧ ملايين فصاروا ١٥١ مليوناً . كان فيهم ١٢ الف ايرس فلم يبق للبرص وجود . كانت الوفيات بين كبارهم ٩٠ في الالف كل سنة فصارت ١٠ فقط . وبين اطفالهم ٨٠٢ في الالف كل سنة فصارت وفيات الاطفال ١٥٠ فقط . وهذا كله بفضل التدابير الصحية . اما التعليم فتمسره حتى شغل كل قرية ودسكرة . فصاروا اجبارياً عابياً لكل الاولاد على الاطلاق . ولم يتركوا الكبار ايضاً بدون تعليم ، بل انشأوا مدارس مسائية يقصدها الرجال والنساء حتى الحدم في البيوت كيلا يبقى على صهروهم ولا امية . فاذا وحد اليوم هناك من لا يقرأ ويكتب فهو اما شيخ طاعن في السن اقصده احوال خاصة عن التعلم ، او غريب قادم من البلدان الباقية تسع عبيداً بالجهل والفاقة . وكان الفيليين يتكلمون في هذه الاسبان يتسمين لغة مختلفة تسمى الواحدة عن الاخرى بعد العربية عن الفارسية . فصادرو بتغامور الان كلهم بلغة واحدة هي الانكليزية . ولم تكن في الفيليين جرائد ، استغفر الله ، في العهد الاسباني . فصار فيها الآن من الصفح اليومية وحدها ٤٥ تنبع مئات الالوف من اعدادها في الشوارع . وفيها جامعات وكليات تضم ١٨ الف طالب للعلوم العليا كالطب والهندسة والحقوق .

اما ثروة البلاد فقد تزايدت طبعاً با انشغالهم في المشروعات التجارية والصناعية . كان معظم اهلها حفاة فاصبحوا كلهم يتعلمون . وكان نصفهم نصف عراة فصاروا يكتبون . وكانت قيمة

هناك ليس مقصوداً يا رضانا نحن وادرياحنا ولا تخيل نظرياتنا في الاحكام كيف يجب ان تكون . بل المقصود مساعدة الفيليين وراحتهم وعمران بلادهم . فالتدبير الذي تتخذونه في كل امر يجب ان تنطبق على عاداتهم وتقاليدهم حتى على اوهامهم الى اقصى درجة تتفق مع الشروط الضرورية للحكم الحازم العادل . موحد شهد العالم بأسره ان اميركا تقيدها بهذه التعليمات الحكيمة ، واتجه لتاكل لبناني وسوري عاد اليها من الفيليين ، وليدته بكل صراحة اميرة جرائد العالم الانكليزية .

اما كيف قام الاميركيون بهذا العمل فاصحوا ، ولا ينبغيكم مثل خير ، كان صحافياً صغيراً في الولايات المتحدة ذلك الزمن ورأى بينه وبينه وسع باذنه وكتب يسد ما يتنقل الان اليكم .

اول ما فكرت اميركا في مسألة التعليم .

نظرت الى بلاد فيها ٧ ملايين نسمة ليس بينهم الا ١ في المئة من المتعلمين . ولم يكن الفضل للحكام السابقين في تعليم هذا الدمد من الاهل . لا لمصر بل للامة التي من بين سائر الامم . يجد الباحثون انما ضروها في اقاصي البلاد ابناءها ما تقدمهم حاملين مشاغل العلم الوهمية يترونها عاباً بصائرهم في ظلمات العصور . ووجد ابتازها سروراً في نشر العلم والحضارة

بين الناس . فهل حذرته من هي تلك الامة ومن هم ابتازوها الذين وجدتهم الولايات المتحدة كأنهم يمدون لها سبل التعليم قبل وصولها الى الفيليين ؟ هم مد قليل من الزمان والراصبات - «الفرنسيين» .

وما اذكره ايضاً ان اللجنة الاميركية الحاكمة ما كانت تحط رحالها في تلك الجزر الشرقية حتى جهزت لها حكومة واشتغلت اول باخرة سلمية تسبحا من كاليفورنيا رأساً وعليها ستمة ركب وستة آلاف طن بضاعة . ولكن اي ركب ؟ واية بضاعة ؟ - ستمة معلم ومعلمة للاصيان والبنات . وستة آلاف طن من الكتب والدفاتر والاوراق والريش . ثم اتيت هذه البخرة بسبعة اخرى كان محمولها لجنة كبيرة من الاطباء وكليات وافرة من الادوية والعقاقير وادوات الجراحة وفائف القطن المقم لاجل تأسيس المستشفيات في المدن والمستوصفات الثابتة في القرى ، والقالة بين



الدكتور نجيب السليبي

صدرات الفيليين آخر سنة اسانية ١٨ مليون دولار ، فاصحت
آخر سنة اميركية اربعة عشرة مليون . وكانت ثروتهم العامة ٥٠٠
مليون دولار ففادت لاس عشرة مليارات

والفيليني قصير القامة نحيف البنية عريض الوجه اسمر اللون
فحور بنعسة ونسبه كريمة مخضب عيود على عرقه كالحرب . وكان
قبل العهد الاميركي يمين في اشرافه بيده فاسته الان عن ذلك
عدالة محاكمه السريمة .

اما علاقة لبنان والفيليين فقد انشأها احوال المسيحيين العرب
اسمين ودفعوا هناك اسم وطبهم وخدمته في اعلى مراتب .

ولا يعلم غير الله كيف قتل اللبنانيين ان يهاجروا الى الفيليين .
وغاية ما يقال ان المرحومين شاهين وعنا عواد من بكفيا صمما
صدقة منذ ٥٠ عاماً بذكر الفيليين وخصب ارضها . فبقت في دناسها
نسمة من الروح الذي قال في روضه شعر اصيل المرحوم حافظ
ابراهيم :

راودوا ابناءهم في الدب ووحدوا
في الهجرة رداً

وسافروا ، كما تقول الحكاية في القرون .
ايام ليل وليل وايام حتى لعب منهم شجرة .
منذ ما . فخذوا يعملان حتى اثروا . وتروى .
الملك . ولا يزال السيد رشيد عواد ابن المرحوم شاهين في دبابو
معدوداً اكبر مالك في قومه في تلك المنطقة . وقد جاء يعرفون
واقفى عقاراً في حي الدجاج وتزوج بقادة من رياض زحلة وبأد
باسرته الى دابو . وادكر انه اراني بعض ثمرات جور .
املاكه فسانته ان يردعها في سن . فقال انها لا تحلج للزراع لان
الحكومة هدرت عندما تسمح بحراستها من ابلاد تربل قشرها
الخارجي الذي لا تسو بدونه . وهكذا تحرس الحكومة على
مصلحة اوطانها .

وبعد الاحتلال الاميركي ذهب الى الفيليين بعض المهاجرين
اللبنانيين والسوريين . وصار عددهم الان نحو ٢٥٠ حكمة . كان
مجموع ثروتهم يقدر سنة ١٩٣٧ خمسة ملايين ونصف مليون دولار
منها : ملكا دهن واحد . ومليون شبن . واربعة مليون
لثالث . وربع مليون رابع . ونصف مليون سادس في موقع على
الباقي . وهذا شدي يمتد سعة اقل لضيق واغصوات بين

اخر : ومهندس واحد ومحاميل . وقد اشخب احد اللبنانيين
عضو في المجلس التشريعي والبرلمان عام ١٩٣٧ ، وطيبان اعرف
احدهم الدكتور نجيب بي الدين من عقيلين مع ابن اخيه الأستاذ
سعيد . كما اعرف من تخرم في مدينتي لاسادة جليل استكندر
اعرب من الدمود ، واحد كبير . من شري ، ويعقوب اخوري
من دشري . وفي ماساتي السيد حن طوس اخوري ، وفي يجرسي
السيد ابراهيم نجار .

على ان اكثر اسم شدي سيق . يكون . حرف من نور في تروبع
الفيليين فهو الصليبي بعض . مرحوم مقري الصليبي من سوق
التراب ، لان اعمالهم الخالدة فيها جعلت للبنان علاقة بها لا تقصم
مراها الايام ، ولا تنفي اثرها الاعوام .

ولد الدكتور نجيب مقري الصليبي في سوق الغرب سنة ١٨٧٠
ودرس الطب في بيروت . وشغل الحرب الاميركية الاسانية
سنة ١٨٩٨ تطوع لخدمة الجيش في كور . وذهب مع فرقته سنة
١٩٠٠ الى الفيليين . ولما بلغها كانت المودو وهم مسلمون في مندافو
منحرف لث . كور صليبي ان يذهب اليهم متكللا على
ساره لعربي . وتمكن برعايته من اقامتهم
في . ردمهم غيب احفان الناصية حتى اصاعوا
نصار الاميركيين .

واكسبت السلطات الاميركية عمل الدكتور صليبي فولته ادارة
اعمالها في جزيرة مندافو . فعمل فيها كاتنجل بلاكل ولا ملل الى
عام ١٩٠٣ اذ دنته الحكومة الى ادارة المدارس التي انشأها في
الفيليين على طراز مدارسها الشعبية في الولايات المتحدة وعينته عضواً
في المجلس التشريعي بسوب عن مقاطعة اصحابه المودو فبقي الى عام
١٩٠٦ اذ صعه لجلال ورد الى مجلسه الخاص وكان لا يعرف امراً
الا برأيه وسنة ١٩١٢ للفترة بآسة اميركية ولم يرقوا اولاداً .

اما اصل المودو وفصلهم فضائع في بطون الاحبال الساقطة .
وكلمة مودو عد الاسباب تحريف كلمة « مارة » . وهم اهل
مراكش التي كانت قبل اكتشاف اميركا تدعى « المغرب الاقصى »
واضاهر اسم من مسمى اخر للملاوية استوطنوا الفيليين وسوا
تريخهم . فبعض الاسباب وعرفوا اليهم مسلمون دعوم باسم
« المودو » الذي يطوفونه في بلادهم على لمة حارسين يشمل

جميع المسلمين .

في قلوبهم اذ كان لهم اصدق صديق وعمل لهم ما لم يصله سواه في تاريخهم ولم يعرفه احد الا حز في صدره الحزن الشديد عليه . وقد اتم كتاباً ثميناً بالانكليزية منها : تاريخ المورو وشرائعهم وديهم ، تاريخ سولو ، اصل الفيليين الملاوي ، الكتابة العربية بالحرز الروماني ، لغة التعليم في الفيليين ، سولو ويدد ، مجامعنا ويدد .

ومن اخوانه الأستاذ مراد الصليبي الذي اكتب في الفيلين
في زراعة القنب ودرس طباعه ومهر في تحمين زرعه وكتب عنه
مقالات نشرت اليه الحكومة الاميركية فينتيه مفتشاً عاماً للزراعة
فقد عمل حذرة وهو لا يزل يلا. اما شقيقه الآخر الدكتور
امين الصليبي فقد لمع نجمه الساطع في تلك الجزر بمارته الفاتكة في
الطب والجراحة وبراعته في تشخيص الامراض وقضه المم على
قاصديه ، وقد آن له ان يستريح فطاد بسترته الى لبنان واقام في
مستشفى رأسه سوق الغرب .

الابدي في هذه المناسبة من ذكر نافلة آخر من اسرة
الصليبي نسب التي تحت عدداً كبيراً من كبار القبول ، وهو
الدكتور كمال
بكر في الصليبي ومثلاً من صناد البدان ، بل الى انكسرت
منه عليه احواله وعيانه ومعه وزير
التنفيذ في الحرب العالمية الاولى .

وفي ختام هذه الكلمة أقول ان اهالي الفلبين وعددهم ١٥ مليوناً يبدخون ٣٥ مليون سيكارة كل يوم - وروغن التدخين في ضروريات الحياة حتى ان الحكومة في منطقة بيليب تزرع السكاير على السجناء والسجنات مجاناً - وان اثم عملها لباتات التبايز البديع الذي علمت اياه راهبات فرنسا قديماً فيفرن به صنع اليابان والصين وسائر العالم وهن يصنعهن باتقان من الحرير وخيوط مسجوبة من التفاح الصوري ، والفلبيني فعود بنفسه مجرم النساء حذراً .

ويؤثر عن اهالي الفيلين اليوم انهم يجتمعون للحمام اكثر من
ماثر الحرف. ولما قال لحد القضاة الاميركية من ان الفلاح القرية
افضل من الحمامي المكاري، عارضه جميع الحاضرين بقولهم : وهل
في الدنيا حمامون مكاريون ؟ - وفيه في خلقه شؤون ا

وهم على كل حال مسلمون يُعْظَمُونَ كثيراً من مكارم العرب في اخلاقهم العالية وضدورهم الرحمة انحاء النفوس ذوو اياه وكرم، في نيوتهم الكبرى ،نازل للضافة وتقديرهم تمت الى العرب باقوى نسب . كان عددهم في آخر العهد الاسباني اربعته الف ، فصاروا الان اكثر من مليون بفضل التنظيمات الصحية التي كان ذلك الطبيب اللباني والعالم الكبير اياها واما . كما سترى :

حوالي سنة ١٩٣٠ نشرت جريدة « الجامعة الإسلامية »
الفرنسية في يافا سلسلة من مقالات عن القليلين شرحت بها أعمال
الدكتور نجيب الصليبي وخدمته الجليلة للإسلام . وخلصتها انه
وجد المورو يتشكلون لغة غير العربية ولا يتأرون ولا يكتسبون ،
ولا يعرفون من اصول دينهم الا انهم مسلمون . فحكف على درس
لتهم الخاصة ووضع لها اجرومية وقواعد ليُنظّم التّعامم بها خطأ .
ثم حل السلطة الاميركية في استجلاب كتب عربية لهم من بيروت
والقاهرة ودعا بعض الشيوخ المسلمين من فلسطين لتعليقهم اصول
اللغة والدين . وما زال يرقى احوالهم ويمسح مورم ولا سيما الصّحية
حتى ازهرت بلادهم ووفو الخرفيا . ومن يقر ...
الإسلامية » في هذا الصدد يجد الحب الذي ...
نجيب الصليبي كان اشبه بملك محوي ...
فهم لهم سل الحياة فرا .

ولم يقتصر عمل هذا الثابتة اللبناني هناك على ترقية المسلمين . بل طبقت شهرته العالية الحائزين بقدرهوسه الثنية لامراض المناطق الحارة ومعالجتها . فكان اساطين العطب يستغيثونه من جميع الاقطار في اعداد المستعصية يعالج . وتدرجه الجمعية المية العليا الى عضويتها فكان عضوا في عدة الاحب . الاميركية والحمية . اخرافيه . والجمعية الشرقية الاميركية وطائفة تطلق حدة ودينية . جيش والاضول وهلم جرا .

وقد جاء لبنان سنة ١٩٢٠ وزار الجبال والوهاد التي تعدتها
أياها قلعاً وزعت به رياضاً يافضاً ثم عاد إلى بانيس التي أنجبها
وصورها بمنايته من اجل بلاد الله في الفيلين وتوفاه الله فيها بانفجار
صخامي امهله يومين في ١٨ كانون الاول ١٩٢٥ ف سقطت جرائد
البلاد صفحاتها حداداً عليه - وقالت جريدة بانيس وبانيلا
ديلي بوترين : ان اهالي الفيلين احبوه حباً جاً وحفظوا لسلون جيله



نشرت بأذن من مالكتها السيدة آية

الرقيق . واما الخامسة - فهي «كليب» وقالت انا لللاحم او شر الحاسة . واما السادسة - فهي « اوراني » وقالت انا للفلك . واما السابعة - فهي « يوليبي » وقالت انا للفصاحة . واما الثامنة - فهي « ترسيشورة » وقالت انا للرقص . واما التاسعة فهي « اوليرب » وقالت انا للموسيقى . وظلت رباب العلوم والفنون عذاري ولهن الجلال الازلي وخدمن العلم والفن وراح الشعراء يتنزلون بين ويصودونهن على الجبال وفي المعابد وعند ميون الماء . واخذت إيطاليا من اليونان هذه الاسطورة وشاعت في العالم فنقلت الى العرب كلمة «موسيقى» . وليس هذا كل ما تتيده الاسطورة بل هناك ما هو اعم وانفع .

فانت ترى ان اليونان يريدون ان يقولوا ان رباب العلوم والفنون اثنان من اب واحد وام واحدة ، فهن شقيقات ولا ميثة لاحدهن على اختها . ولكن ميل كل ربة من هذه العذاري وجها الى التخصص ، ونشأ من هذه العبادة ان الموسيقى في بلاد ايبوس كانت في درجة الحكيم ، ولم ترق في تاريخ اليونان اثرًا للتفرغين علم وعلم وفن وفن ، فنهضت الموسيقى وزكت كبراً في مصر .

وكانت امة شرقية هي شعب اسرائيل قد حلت عن مصر في عهد موسي لما . المدينة المصرية عيب . معاد تحت سفسس الفراعنة ، الى ان اراد آله اسرائيل انقاذها من يد المصريين . فلما خرجوا من مصر ووقفوا على جبال سيناء انشد موسى نشيد الشكر لله ، ورغبت مريم اخته ، وكنوا يهللون لله كلما رأوا هلال الشهر يورقوصون بين يدي الله . فالموسيقى عندهم بالعبادة .

ولهذا كان مقامها فيهم هو المقام ، وتزل كتاب داود « المزمير » نشيداً روحياً له معجزته الموسيقية ، فهو من النظم الذي يتلصق بالروح الموسيقية فيمثل في النفس ما تفعل الآيات فلا بدع اذابت الموسيقى مرفوعة المقام بين هذا الشعب الى اليوم .

وجاءت النصرانية ، فصنفت للموسيقى مقامها ولا تزال ترى الكنائس تخرج بنسبها الاصول الجميلة على نعم الالاف . فهي من العبادة كما كانت في مصر وفي امة اسرائيل . ولقد عدها القديس

توماس انها في الطليعة من العلوم والفنون . وجاهلوا يدسونها في القرون الوسطى في مدارسهم لا فرق بينها في الدرجة وبين علم الهندسة والفلك . وليس من شأن كتمان هذه كما قدمنا ان نعرض للموسيقى من وجهة التصوير والنظم فهذا شأن علماء الموسيقى ، ولكننا نقول ان للكنيسة في العصور الوسطى الفضل على فن الموسيقى لانها صانته من السقوط ورفعت من شأنه ونهضت به ودلت على مقامه وحضت على درسه . ولكننا وان اخذنا عن معابد اسرائيل الموسيقى فانها مزجت بركة اليونان فكانت لوناً جديداً تقبله الروح بشيء من القربح عن النفس والفرغيب لم تكونت الله فاذا

كانت موسيقى اسرائيل اشجاراً باسقة فقد صارت موسيقى النصرانية فاكهة لينة وازهاراً جميلة . كانت موسيقى اسرائيل شاذة مباهية باله اسرائيل المنفذ القوي ، مصوبة برش حافظ لوحدة النظم ، فهي موسيقى فرحة سافرة . ولكن الموسيقى النصرانية نشأت متأثرة بالحالة الاولى التي كان عليها أهل هذا الدين من التحرز والصمت لحياتنا والعبري على مكاره الاعداء الاقوياء . فكانت لا تنجر بالنظم جهر الموسيقى الاسرائيلية كما كان لا يصحبها رقص ليلية التكتم على اصحابها . وطالما اثرت الفرديات على صوت الجماعة بمحكم التثنية والتحرز . فلما غلبت النصرانية على الوثنية صمم لها الصوت الشجي فيه من حرية التعبير ما كانت محرومة اياه من قبل واخذت الشعوب تخرج موسيقى الكنائس باغانها الوطنية فراحات ملاي باغان شمية دالة على مزاج الشعب الذي تتيده . ولعلنا

نرى في تراتيل الكنيسة القبطية اثرًا من آثار مصر الاولى يميزها عن غيرها من التثنية الكنائس الكاثوليكية .

وكانت موسيقى الكنائس تابعة لآلة الدين . وكان لا بد لكل امة من ان تتذوق حلوة الموسيقى بلتها . فنشأت الموسيقى الشمية تلبس قصائد الشعراء فتدله هذه الاشعار من روح الفناء المطرب ما يسر قلوب السامعين . وكان في الشعراء من يثشد شعره بنفسه ومنهم من يتركه لمن يملحه وقد تآكل في اليونان صاحب الايالة



آله الرقيب

كانها قلب معلق بنبائط ، وجعلوا اصحا « نفر » .

والذي تراه من مقابلة اللغة العربية بالغة المصرية ان « نفر » ومعناها الجمل ، تقابل « نور » في لغة العرب والفاء مقابل الواو عند العرب ولها نظائر في اللغة العربية ، واليك المثال :

« ولد » في العربية تقابلها « ولد » في العربية و « وريد » في العربية تقابلها « فريد » في العربية ، والمنى واحد والعربية والعربية توأمان .

وجننا بالرباب في هذا السياق لملاحتها بالموضوع نحدثك به ، وللتدليل على اننا قطعة قديمة وجدت في اساس اللغة المصرية . فاذا ثبت ان عرب الجنوب وهم اهل اليمن ، تزحوا الى مصر ، وثبت انهم جاؤوا بالبلدية الاولى معهم الى بلاد النيل ، وثبت ايضا ان الرابنة من مدينتهم . كما ان اول ان هذه القطعة الموسيقية من ابداع عرب الجنوب ، وهذا لم يقطع به التاريخ . والذي تقطع به هو ان المصريين سمو هذه الآلة الجلية المارة باسم النور ، لما تيم به في السبع من الطرب ، وما تحدث في الروح من المسة ، كما ان منظر النجوم والازهار في الراني .

ولمذا دعوا كل ذلك باسم « نفر » موزعها في ذلك الى ابد من هذا ، فسماوا الخيل من الرجال « نفر » « نور » واضافوا تا التأنيث الى هذا الاسم للجيلة قبالوا « نفرت » ، ولعلك سمعت حديث تمال هذه السيدة « نفرت » الذي دار بين المانيا ومصر .

والذي نحمد من هذا الحديث ، ان العرب لم يعرفوا في بلادهم الشمالية عند الحجاز الازراب ، وزادوا عليها الدف والمزمار والطبل . ولم يعرفوا من الآلات التوتية غير الازراب ، بديل ان اشعارهم جاءت خالية في ايام الجاهلية قبيل الاسلام ، من الاشارة الى البرابطة والمخزف الاخرى التي عرفها اليهود عن المصريين .

ولم يكن جهلهم للموسيقى عن غلط في الطبع ، فالبدوي حين الحاسة ، واشارة في الحب مرققة ولكن الموسيقى صناعة صنعت من الهندسة وعلم الميتة في ميدان واحد ، وآتى لهذا البدوي الامي البعيد عن منابع العلم ان يحمي صناعة الاقنية الزمنية والصوتية ، ودرجات الصوت وانخفاضه مربوطة بحجاب ؟

بل أنى لهذا البدوي الذي يجاهد في سيل العيش ان يلم

بالموسيقى ؟ . وانى لهذا الكدود الذي يسكن القفر ، فلا ماء ولا شجر ، ولا خضف في العيش ، يطلب الموسيقى ، وهي وليدة المدنية والعلوم المالية ؟ انى السباعي بالقوة والفروسية الذي يرى التلب من مواهب الرجولة ان يقره للموسيقى ويصبر على دحسها ، ويحذ نذليل صايبها ، حتى تستقم له وتطمئن لاثانه ، واذنه وبقي منها المطلب والمبدع !

انه لا يرى من الموسيقى الا ما تراه الفطرة من ارسال الصوت على السداجة في الشعر العذب يذكي به الالباب ويحتفل ، ويسميه العربي « الترم » فاذا ترم فيا هو دون الشعر ، قال انه « التبير » يذكرون به القابر من شبابهم ، ولعله الى القتل اقرب .

وللهود ولع بالقتيل تسبه من شيوخهم يتلون شيئاً من التوراة ، قل يعود العرب ، فنادوهم هذا الضرب من الفناء ، وتزل الكتاب بالحض على القتل لما يشعه الصوت الحسن من الخلاوة ، فيعين على السماع . ثم كان للبدوي ان يقطع القلاة في عيره وان يغني فيطرب نفسه ، ويطرب معه الابل ، فارسل النفس اهل الحدا ، فكان « الحدا » وكان ثمادي « العيس » .

وكان فيهم من قبيلة بني كلب رجل حسن الصوت اجاد الحدا ، ورق فيه ، فعرفوه بهذا الصوت وسماه باسمه ، فقالوا انه « الجناني » نسبة الى جناب بن عبدالله ، وقالوا ايضا عن هذا الصوت « النصب » ودعا اهل الصناعة

« السليك » ، واختص به الركبان واهل الرائي ، وغير ما يصلح له في الشعر بحر الطويل .

وكانوا اذا جادوا بالصوت المرحود المرجع العكثير التبرات والنغم ، وهو ما يحتاج الى تمكن من طول النفس وحلاوة الصوت ودقة الاداء ، قالوا انه « السناد » . فاذا جهدوا ان يناسبوا بين الفنا . في اللحن الخفيف وبين آلة موسيقية من الدف او المزمار او بهما ما ، ويناسبوا بينه وبين القرص ، قالوا انه « المزج » .

ولقد اعجبوا بهذا الصوت اعجابا دعاهم الى القول بانه يشيع فيهم الطرب ، حتى ليستغف الحلام ، وهذا جهد ما بلنه البدو أو عرب الحجاز اطلاقاً من الفن الموسيقي . وقد ذاقوا من هذه المناسبات حلاوة الاصطحاب (المارموتية) ، فقالوا انه مرقص ،



وتذره الظلم، والأشراف عنه لانه يلقي الناس ويضطرب الحكم .
وقال مؤرخو العرب ان المخرج من ابداع الفطرة السليمة
البرية . ولكننا نقول انهم نقلوا عن اليهود هذا الاصطحاب نقلًا
بطريق التقليد ، لا بطريق العلم والفن ، ولا بطريق الابداع . واللا
فكيف ابدعوا المزمار وهو قطعة موسيقية لها شأنها في فن الموسيقى ،
ولا تصل اليه الي ابداعها الا بعد ان يعرف مبدعها من اصول
الفن ، الاقضية الزمنية والصوتية ، ويناسب بين الانجاش «الفتحات»
عند الوضع ، وتجريد الاثامل ، وارسال الصوت في ارتفاع او
انخفاض وشدة ولين ؟ اما اذا قلت انهم قلدوا ، فانا نعلم لك
خصوصاً اذا علمت ان هذه القطعة معروفة عند المصريين ، واخذها
اليهود عنهم .

خلفت قريباً .

فقال : هذا البربط .

فقلت : يا بني انت وامي فا هذا الحيط الاسفل ؟

فقال : الزير

قلت : فما الذي يليه ؟

قال : النثى .

قلت : فالثالث ؟

قال : المثلث

قلت : فالاعلى ؟

قال : اء

فقلت : .. بالله اولاً ، وبكثانياً ، وبالجربط ثالثاً ، وبالمزمار

قال الراوي فضحك الى وافته حتى سقط ،
وجعل تاهض يهيج من ضحكته . ثم كان
بعد ذلك يستعيد هذا الحديث ويضطرب به
اخوانه فيعيده ويضحكون منه .

وقد رأيت من هذا ان العرب ما كان
يسرقى علمه ، وانما ادخله ، خدوشاً آلتها
ة . وقد نوهوا برجل في الجمالية اسمه
«حار الصوت حتى دمه» «المصطلق» .
لا تحب هذا الخشب بها ، وفيها
راتب الشجاعة والاجود ووضعها في
حجرة بين التكريم والفنى ، لا ! ولكنها
ينوهان بها حين ضرب للثلث بجلالة الصوت ،
لا على وجه الاجلال والاكبار .



وعلى الحالين فقد بلغوا من الموسيقى هذا
الحد الى ان جاء الاسلام وهم لا يعرفون عن
البربط شيئاً . وانك اذا رجعت الى كتاب
الاغاني رأيت فيه حديث تاهض بن قومة
الكلابي وكان بدويًا جانيًا كأنه وحش
وكان طيب الحديث ، وهو يصف عرساً ورد
فيه الآلات الموسيقية حين يقول : «
نحن كذلك ، اذ همهم عيب شديداً ،
احدهم قد علق في عنقه حبة كرسية الشجر
فارسية مسنعة العارفين دقيقة الوسط مشبوحة
بالخيوط شبعاً منكرأ (يصف الكمانجة) .
ثم يدر الثاني فاستخرج من كهنة سوداء
كمخرطوم الفيل (المزمار) فوضها في فيه ،

وهوت بها صوتاً لم اسمع وبنت الله اعجب منه ، فاستم بها امرهم .
ثم حرك اصابعه على اوتارها فخرج منها اصواتاً ليس كما بدأ ،
ولكنه اتى منها ، لما حرك اصابعه ، بصوت عيب متلاهم متشاكل
بعضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق . وكان معنا في البيت
شاب لا آله له ، فقلت الاصوات ياذا ، عليه والدة له . فخرج
فحنا بمشقة عيناها في صدرها ، فيها خيوط اربعة (الود) ،
فاستخرج من خلالها عوداً (الريشة) فوضه خلف اذنه ، ثم عرك
آذانها وحركها بمشقة في يده (الريشة) ، فنبطت ورب الكعبة ،
ودده هي احسن قينة رأيتها قط . وغنى به عليها فاطربني ، حتى
استغفني من مجلسي . فوثبت فطست بين يديه وقلت : يا بني انت
وامي ، ما هذه الدابة فلت اعرفها للارباب ؟ وما اراها الا

- ومن قبان العرب قبل الاسلام الجرادتين اختلف الرواة
فقتل انها لمبد الله بن جدعان غنائه ثم وهبها لامية بن الصلت
الثقفي «رواية الاغاني» وقيل انها ملك العرب النعمان «على رواية
اليازجي» وقيل انها كانتا معاوية بن بكر الصليبي سيد العاقبة
الذين كانوا تازلين بمكة قديماً «على رواية الميداني» . ورواية
الميداني في هاتين الجرادتين اقرب الى ما جاء في تاريخ اسرائيل عن
جيل الجبارة اصحاب الحروب والثارات من بني آلهم رجسالا
وقاين ذماء .

والذي تأخذه من تاريخ الجرادتين في بحثنا هذا انها قيتسان
من الاماء ، ومع بصرها بالغناء لم ير صاحبها ان يرض بها على
وجل آخر ، فوهبها اياه كانها يرض السمع . ولا تؤيد قيمة الموسيقى

« ولحون اهل الفسق »

وقد عرفنا لحون أهل الكتاب ، ولحون أهل الفسق ، ولكن الحديث نبه أيضاً في قراءة الكتاب الكريم على ترجيع الفناء عامة وعن النوح خاصة . فلا بد من أن يكون للعوب تقسيم في الفناء معروف على قدر ما وصلوا اليه في بداوتهم ، فما تفصيل ذلك ؟

الجواب في كتب الادب تلخصه لك :

الترنم -- وقد عرفته انه التكني بالشعر *

التخيير - وهو التخيير بما هو دون الشعر .

وفي الترم : الحدا. وهو غناء الركبان قد حو إلى الاوطان
فأرسلوه ثمانية شعور واثنين ، فهو من انواع العزف ، ويمد اول
مراتب النوح .

النصب - وهو من الحداء، ولكنه منه أرق وقد عرفه أخيراً
صاحب الصناعة باسم السليك ولعل هذه اللفظة راجعة إلى نبشته
تجارية في العرب . وإذا كان النصب من الحداء كان هو غناء الركب
والرأي - ويصلح له من الشعر ما جاء من بحر الطويل وقد
نصب رجل من العرب عن أبي كعب اسمه «جناب بن صدقة»
مؤيداً له في ونعت وأخيه وأحد
في في حجة إلى القلعة سنة ١٠٢٥ هـ ،
من كتب السكرية .

والموت الذي يحتاج في اداءه الى دقة وبراعة مما يبايحه به من قصر رزقه عليه ، وكان في صوته رغبة الجواب وسلامة القرار ، مما يحمم الناس على انبثاره .

الفرج - وهو اللحن المرقص الخفيف الذي يصاحبه الشعر
افضل الناسوي القترات ، وهو الذي يطرب على اجنحة الموسيقى
الآلية من دف و طبل و رباب و مزمار ، وهو عندهم نهاية الابداع .
وكان هذه الآلات تخطف من النغم جواً متجاوباً الاصداء كأنه في
تدوئه وحلوة تجاوبه ، ما يسميه اليوم اهل الموسيقى بالاصحاب ،
وانه منه ولكن على بداوة .

وكان العرب إذا سمعوا ارتقصهم وأخذ من قلوبهم واستخف
 حلوم أهل المروءة فيهم - وهذا الضرب من الموسيقى العربية
 البدوية - والسائد من القاء المنهي عنه في الحديث الشريف -
 ورجال الأدب في العرب قالوا إن المخرج من أبداع العرب ،
 ونحن لا نرى منهم هذا الرأي ، فما عرف من العرب أنهم أبدعوا
 آلة موسيقية . وقد حدثناك حديث الرباب - ونست في حاجة لأن

الحساء عند العرب في أيام الجاهلية عن آله الغوثراف اليوم كما كان لا روح ولا عاطفة لها معها اجادات وآثار في غنائها الاشجان ، ولتعمد الموسيقى اليوم حفظها اذ لها في الحياة غير هذا الشأن !
كاننا من الاما ، وهذا يدل على ان الحراثر كانت الموسيقى قرض منهم ، لان الموسيقى التي تعرض لها القيان هي الموسيقى التزلية ذات النغم المتكرر الانسان الساهي الناعم المتعطر لدم الشباب الحار ، فهو زفرة من زفرات الصبا الجامح وآهة من آهات الحب المستهتر الماغم في طلب الحظية الرائعة الفتاة ، وهذا حظ مالوك العرب ومن قد لهم من التناء التزلي الذي يسبج ويحجبك احيانا . ولا تحسب اذا قلنا ان القيان كن من الموسيقى اننا نقصد بهذا القول الى الموسيقى مجناها التي يعتقد عرفنا ان الفن الموسيقي لم يعرفه العرب ، ولكننا ونحن نعرض لموسيقى العرب في الجاهلية واوائل الاسلام ، نقصد الشعر العربي في التشبيب والتزل ، يمشي بين الحفل في حلل جميلة موشاة من حلاوة الصوت وجمال الابقاع . ولا تحسب اننا في الجرادتين ترجح رواية على اخرى ، ولكننا جئنا بها مثالا على ان الغانيات من المغنيات كن اما غير حرائر ، ولم يقل التاريخ العربي في أيام الجاهلية ، ولا في العصور المتأخرة انهن كن حرائر ، او باهت به او نسب به .
على رايهم القديم ينظرون الى الغناء انه متعة القيان ، لا في حسب او بدات حسب او يعرف احد .
الاي ان يرى امراء العرب قد تبدل وجلس في مجلس شرباه ، غير محترق في يوم صائف ، تحت ظلال بستان من نخيل ورمان ، وبين يديه فتاة كأنها دمية ، وقد وضوا بين يديه خمرة واكوابه ، وفي زاوية من زوايا مجلسه هذا رجل ينيقه وامير العرب ان شاء قبل ، وان شاء ضم ، وبين هذين يرفع كأسا دافقة بالخر المشبعة ، طذاً المزيد في العارب . فاذا تعطف على منفيه فقد دماه بنظرة فيها صابرة من عطف ، كما تلقى الكسرة الى كلب الريف خائفاً وفضلا نصبا المني الشرف الاكبر .

انظر في هذا وانت الطرف بجاني العرب ، وقل اي رجل من اصحاب العصية رضى بذل المفتي هذا ؟ ومن يطبق من اهل الشجرة ان يجلس بين ايدى حظيئة ؟ رافعا ستور الحشمة ، ليجمع بحسن صوته وجمال ايقاعه كمين جسين وقلبين كءا لثاميا بينهما من تبتك وفسوق ؟ اذن فللموسيقى عند العرب في ايام الجاهلية وصدرا لاسلام الثمان من الجوازي ، والمختون من الرجال ، وفيهم الاسرى ومن لانسب لهم في العرب . وهذا مجلس الفناء الذي نهى عنه الحديث بقوله

نجد ذلك حديث الزمار ، فانه لا يتجرق إلا من طريق العلم الصحيح بصناعة النغم وقياس الصوت ، وانه في موسيقى المصريين ، وكذلك الدف والطبل والضاجات « او الصاجات بانة القن » فان قلت انهم لم يأخذوا هذه الآلات عن المصريين قديماً فهم ناقلوها عن اليهود في خيبر خاصة ، وفي المدينة والطائف عامة ، وان قلت ان اختبار الشرع لهم واستماعه للموسيقى من اليهود قلنا ملك ان هذا اصح . فان كان هذا هو الابداع في المخرج كما يقول رجال الادب والتاريخ العربي فلا نعارضهم على هذا التفصيل .

الان عرفت حكمة النبي عن قراء القرآن بلعن اهل الكتاب ،

في غنى عن موسيقى اهل الكتاب التي تملأ جوانب القلوب خشوعاً لله « بالترتيل » الذي وصف لك . وغناء اهل الكتاب اشرف ما وجد في الموسيقى - في نظر الدين - فلا غرو اذا كانت الموسيقى في مختلف الوانها الزاهية والباكية بمد غناء اهل الكتاب بيضة الى الاسلام لان عرف العرب من اهل المروءات والعصية متفق مع الحديث الشريف ، فكان لا بد للموسيقى من ان تستعزي في ايام الوحي حتى الموسيقى الدينية بين يهود العرب .

ارأيت كيف كان حال الموسيقى في ايام الرسالة وكيف شغل اليهود وهم اصحابها عنها باليساسة ؟ فلا تعجب بعد هذا اذا كان الترتيل اخذ على الموسيقى العربية طريقها .

ولكن هل ماتت الموسيقى في ايام الرسالة ؟ انها لم تمت وهي لسة الوجدان ، ولكنها كانت كالشمر وهي عند العرب وليدته . فكما ان الشمر يمت عند نزول الوحي فكذلك الموسيقى الغزلية وهي احب انواعها عند العرب لقلبة الدين الجديد



ولكن السياسة تحرك العقول والمواعظ ، وللإسلام خصوم اقوياء . اذن فقد تحرك الشمر واخذ ينظر في ميدان الهباء ، والعرب يتفننون بالشمر ، فلا بد للثناء من ان يظهر ولكن لا في شغوف الغرام - فالوقت

وقت حرب لا وقت هوى وعشق - بل في زرد من البض وهجا ذي ضرام .

لان لهم موسيقى لا يجب الاسلام ان ينشبه بهم فيها ، ويشغل اصحابه بالتفحص لها ، حتى لا تقتنهم بهجتها عمائم مقدمون عليه من نشر كلمة التوحيد ، وعن قراءة القرآن بلعن اهل الفسق تكريماً لكلام الله وتقديراً ، وعن الفناء حتى لا يستغف الحلو ، وعن النوح حتى لا يصيرف السامع الى ذكريات الماضي الذي يحبه ويتوجع له فيفوته ما في الكتاب من عظة .

ولكن الموسيقى تعرض لكل ما تعرض لما النفس من مختلف العواطف ، فهي تبكي وتضحك وترقص وتهدي وترسل الروح الى الملا الاعلى ، ثم تطلبها الى ابتسامة الابالسة ، بين الكروم المهصورة

والافاق الساحرة الساهرة . قبل كان الاسلام مشجعاً للموسيقى العربية ام مشطاً لها ؟

ولست في حاجة الى البحث عن الجواب . فان الاسلام كان

انفاضة - ع . ع

البحيرة

للدكتور حبيب ثابت

بحيرة عشنا على مانها نعيم في اقياء ارجاها
 في زورق حلو مجاذيفه صفاءة في الجو كفاها
 بشد فوق لـ انشودة في الشاطئ الحيران اصداها
 بحيرة ، نامت حيون الما واشرقت فوق عجاها
 ومدت الانجم من يوجها شفاها لائمة فاها
 وانشد الليل اناشيده في الليل ، في الماء صمناها
 انوارها قاذفة اسكرة بيضاء في الشطين مرماها
 بحيرة كل اماني الصا تجني على زرقاء مسراها
 كان احلام المرحر صفة بالما ككتباها
 ودمع ماضينا على الخدع بالما ككتباها
 وكما بالما ككتباها
 بحيرة ، بل قفزة رجة ضل الموى في ليل ذكراها
 سرنا وراء النجم في ليلة سكرى فتمنا ، مثلما تها
 بحيرة بحر على مائه مراحل العمر قلعناها
 مراحل ايامها بهجة في ساعة المجر نسيناها
 بحيرة ، فاضت بالآمنا بدمنا الجاري ببجراها
 وازهرت في الشط ازارها وضوحت لما قطفناها
 يرتل الجدول في جنبها انشودة لم تدر منهاها
 تساقطت فيها نجوم الموى بالجن ، بالين لمتناها
 فقل دامي الدمع في مانها فجرح النين وادماها .

المؤلفون الممثلون

اندش « ومثل في «مينون وباربون وعريسون وغيرها» . وفي العام ١٦٥٨ مثل في مدينة روت «مسي الشعر كورنيل بمخضو الشاعر نفسه وسرعان ما ارتبط الاثنان بعري صداقة مثينة . وفي الرابع والشرين من السنة نفسها مثل مولير امام العائلة المالكة وبمخضو مشاهير ممثلي « اوتيل يورونيا » مأساة « نيكوميد » لكورنيل .

وعند انتهاء المأساة التي صادفت ضاحاً كبيراً أظهر مولير على المسرح فشكر الملك الطفل الذي ابداه لفرقة وسأله « بكل تواضع » ان يسمح له بان يحتم الحظبة بألمية من تأليفه . فقبل الملك ، و«كان « الطبيب العاشق » فانتحة النجاح العظيم الذي ادرسه المؤلف الممثل فيا بعد . ومنذ ذلك الحين بدأت حياة مولير فاقام بباريس واخرج مسرحيته « الطائش » و « التضوب العاشق » فاحرزت مثل النجاح الذي لحرزته في الاريايف . وفي ١٨ من تشرين الثاني من العام المقبل مثل مولير رائيته « المتحدقات المضطحات » وبلغ نجاحها حداً ضوفاً معه اسعار المقاعد ، وأخذ المجد والثروة يتدفقان مماً للعبقريه

الظافرة ، وبقي مولير طول حياته يمثل أبطال مسرحياته على اختلاف ناذجها الحية ، ذلك ان هذا الرجل العظيم الذي قال عنه بالوال لويي الرابع عشر انه « فريد عصره » عاش هذه الناذج البشرية وعانها بين الثالثة والشرين والسابعة والثلاثين من عمره .

ولم يقتصر مولير على تمثيل الهزلة فحسب بل مثل المأساة ايضاً فقتل . ولكنه لم يفشل لان تمثيله ردي ، بل لانه اراد

بما لا شك فيه ان جميع المؤلفين المسرحيين ممثلون اذ يستعمل على المؤلف ان يضع قطعة مسرحية اذا لم يشعر ، وهو يكتب حوارها ، بمواظف الاشخاص الذي خلقهم ويصور حركاتهم ويحل بقله الدور الذي سيخرجه الممثل فيا بعد على المسرح . وبديهي ان القطعة المسرحية تتطلب انشاء خاصاً ، فكم قصي

مشهور فشل في كتابة المسرحية ، ذلك ان لغة المسرح ليست كافة القصة أو لغة الكتاب ، فقد يتفق الجملة مصقولة صقلاً متقناً ، ومؤونة بالمعاطلة والفكرة ان تسير القاري . ولكنها لا تحرك النظارة . اما الجملة المسرحية فلا يبيدها الا « المؤلف الممثل » فراسين وماريفو وشكسبير والفرد ده موزه ليسوا كتاباً فحسب بل كتاب مسرحيون عظام .

مولير

ومن يجهل مولير ؟ فيمد دروس موقفة في مدرسة كليرمون اكتب على الفلسفة وراح يتشبع من حكمة ابيقورس . وفي الوقت نفسه كان يفكر في المسرح ويتابع

تجربلات الممثل الغزلي سكاراموش . وما عم الامر ان الف فرقة من اترابه لم يحافه معها النجاح وسيت له ديوتا سجين من اجلها ثلاث مرات ، ثم الف فرقة اخرى وراح يطوف يا الاريايف . وبقي كذلك مدة اثنتي عشرة سنة . وفي العام ١٦٥٣ مثل في ليون مسرحية « الطائش » وهي اولي مسرحياته الكبرى فثالت فوزاً تالماً وشجته على مواصلة التأليف فوضع مسرحية « التضوب



مولير في احد ادواره التمثيلية

ان يسلط فيه طريق حقيقة ، الطبيعة ، والسافة في طيبة . على ن
مزاعم ديث لزمان كانت مترجمة له وكان حسده من مشن
الشككيين وقين له لمدد . ونحن نقول ان العور العظيم عدي
ادركه مويير في مبره حدة واحترام الذي تتجه به في دعوس
صعوة الفكركي في رمد . خلا الاكاديمية العربية على التفكير في
اتصدهم وكها اشترطت في ذلك . بلغ عن اليهود في مسرح
وكلفت صديقه يواو مباحثته في الامر واقامه في حرفة مثل
لا تتفق وكثرة الاكاديمية . فرفض مويير قولا صديقه يواو

تحوله عن المسرح بقضي على حياة مدد كير
من رحل فرقته واستخدمين في مسرحه . وانه
لن يعضه عن فرقته التي يجب ان الموت . فلم
يصر عليه صديقه ولا الاكاديمية . وبقي
المسرح محتفظاً ببوليبر حتى موته يوم ١٧ من
شمار ١٦٧٣ ، بعد تنليه لمدة رسة مهنته
الحلابة " مويير اومح " .

شكسبير

وان تكن فرنسا تقاخر بانجاليا المزم
المثل موليير فنكتلرا ليست اقل منها اقتد
بانجاليا المؤلف المثل شكسبير . ومن يجه
شكسبير ؟ فعندما اضطر شكسبير وهو في
الحامسة عشرة من عمره الى الانقطاع عن دروسه
لقلة ذات يده كان على جانب من العلم يسمح
له بقدر قيمة الكتب التي يضاها لخذ الاميد
بين يديه . ولا بلغ الثامنة عشرة تزوج من
ابنة مزارع وبعد مرور ثلاث سنوات غادر
ستراتفورد مع زوجته واطفاله الثلاثة . وكان
شكسبير يحب الغابات والصيد وكثيرا ما

كان يتوغل في حدائق الستوماس مصدر ارسا بربر وتيسا
جلبا . ويظهر ان التيل الاسكليزي عاقبه بقسوة فانتم
مه نقيدة هجا . انشكرت في كل مكان ، ولا يله عذب السر
توماس هرب الى لندن واول ما فكر فيه عند وصوله الى
المدنية ان يبيح عن ماوى فرسه فقاده الصدقة الى اسطبل
جس يورنج . وكان هذا الاخير من موليير ستراتفورد
شكسبير ومن عشق المسرح فبن اول قاعة للتشيل في

اكثرا . وجره ورقة ورد نيسة . ود كان شكسبير في
اقصى احدة الى كسب العيش استحل عهده في مد بجراصة حياض
لاشرف لندن ككوا ناوب حذور احداث التيشية . وهذه المنة
لوضعية صورت لوريت برين قدامه انه يستطيع اهانته شاعر
روميرو وجويت تشيعه ياه سانس .

وسرعان ما وطني . شكسبير حشة مسرح بعض مجر بورناح
يدي كان في مدد ورقة ورد ليسة ورج يحصر التيرين . ثم عين
ملقا . وما عم لامر ان دهش المثيلين للاحاطة بدقة فهدوا

اليه داخل تمديدات على مسرحيات القديعة .
وفي ديث العهد يمكن اشياح امكركي
محب كره هو اليوم . ان كانت كل مسرحية
تصبح ملك الفرقة التي تشتريا ، تتصرف
بكر تريد فتعقد منب وضيف اليها ما
تزدحج . وما بلغ شكسبير الثامنة
الاربعين من عمره حتى شهنر كمثل ، وقد
اطرى درالين وشلي وين جونسون نفسه
وهو من اقبى مزاحمي شكسبير ، مزاي هذا
لانبر كمثل هنري وتراجيكي . وفي عداد
اد زوار التي احرز فيها الشاعر نجاحا كبيرا دور
ملك الدافركي في " هملت " وقد اكد روف " ان
شكسبير بلغ بهذا الدورقة الفن " .

والى جانب المؤلفين الذين تماطوا حرفة
التشيل يقوم عدد من الكتاب المشاهير ومن
غواة التشيل كغوثير وغوتي . فقد انشا
فولثير في فرني مسرحا صغيرا كان يلبو بتشيل
ماسيه عليه . وكثيرا ما كانت حفيده كورنيل
الكبير التي اطاعها مهرأوزوجيا تشترك في تشيل
مسرحياته كديوب وغيرها . وكان الشاعر غوتي

يضطلع حياض امدهمهور من صفة الناس ويعد المسرحيات والمثليين
ويجي دالاسة والزية . ويرجع اليه والى صديقه الشاعر شيلر
الفضل في تكوين باشنة من المثليين . وقد بقي الى شيخوخته
الحيدة يعني بالاحراج المسرحي وبكل ما يجتص بفن المسرح .
ان المؤهون المثليون في الوقت الحاضر فاشهرهم كورتلين
وتريتس بربر . وساش عيترتي والشاعر جان سرمان ولويس فرنويل
ومرسيل اشرد وره هوشو .



وليم شكسبير

اسرار بلادي

بنم زكي الحاسني
استاذ العربية في تجهيز دمشق



فكسري في موسم من مواسم عيده ، متنفذاً بالأحلام وكان قلبي طويلاً . على أن الناس الذين شاهدوني وحيداً في صدر السيارة كانوا لا يملكون انني اجبر ورائتي حاشية فضة تحفى على ايمنهم ، حاشية يزدهم فيها البدو بمبااتهم الثقيلة وركاب الليل وعليهم الصدر المحمر ، ونساء محجبات ، واميرة شامية تكبح جوادها بد قومة . . .

توالت هذا حين تذوقت الادب قرأيت دورجليس ، ذاك الروائي الجدير الذي رار الشام قد وشوشته سواحر الشرق فأدركته الاساطير التي تسكن في الشام منذ هود بعيدة ، والتي لم يستطع أن يبرهن حاشي . قد سار الاديب الفرنسي في شوارعنا وتكلمت تلك الشخص له حاشية يحيى وراءه . وشاهد النساء المحجبات وكأنهن مديح اسرار هذا الشرق .

فرحت من بعده استقط المقاتل التي كنت اراها ولا اعرفها . فاذا زرت حلب جلت في اسواقها . فوقفت بقصر صريات الصاغة فاذا هي كلاتية لها ابواب قديمة مقود عليها ناياب الاشجار ، وستونها واطلة ذات قباب . وثمة رأيت فوان نساء محجبات ، كن اذا اقتبلن على باعة الجواهر كشتن عن خد اسيل ، وطرف كحيل ، وايد بضة ، فدخلن الدكاكين الكأيدة ، وجلسن يصفن على لباتهن القلائد ويضعن في آذانهن الاقراط بعيدة الماهوي . واسلى ما اعجبني الخلائيل فان نساء حلب ما زالت فيمن من ترى معصم رجلها بالخلخال الجوال .

ثم انحدرت الى سوق الجبالين كما اذا سوق ما رأيت اضيق منها ولا سمحت . يصكاد الجالس على طرف دكان من اليدين ان يس بركبتيه الجالس على طرف دكان من اليسار . وكنت اسمع وانا اجوز بهذه السوق احاديث يتجادلها البائعان المتشافان ، فيقصران بها طول النهار والجال من فوق رأسيها متدلية كاختافيد من

دمشق ، يا لك من ساحة شرقية ذات عطور . نحن اذ قد لا نرى حرك ، وككن انت الشرق لا تحس بروعة محاسنها . اننا لنمايش هذه المحاسن ونشاهدها في الامامي والاصباح . نفتح الاعمين عليها منذ ندرتك معنى الحياة ، ونفضها حين غوت ، ونحن في فسحة ذينك المهدئين لا نعرف اسرار ذيك الجمال . فلنكم من مباحج قد ألفناها ، اكنتا لم نرسل بانظارنا الى اعماق قوتها . حتى اذا هبط ديارنا رجل من القرب لهيف النظر الى هذا الشرق الذي كلوه يحدونه عن عجايبه وطيبه . على وجهه من اسرارنا ما لا نراه نحن في طوال العمر . ولما تطلبت هذه التجارة في هرو استنارتا عندها ومحتسا لكل سر .

لكنكم جلت في ازقة دمشق منذ كنت تالفاً . فقد ولدت في حي مثذنة الشمع . وهناك بيوت قامت على الساطع تشوح حيطانها وتقسم ساحاتها . ويدخل اليها من فصول مظلمت يحضي المر . فيها وفوق رأسه ظلة من الساتف . في هذه الدروب احاب نيل الوجي . وطال ما خفت فيها ذهواً وجيته فلم ار منظرأ في يوم من ايامي يبهج عيني او يخلب عقلي ، او يسحرني .

ولقد عرفت بعد حين ان الروائي الاشهر رومان دورجليس من اكاديمية غونكور ، زار بلادي فقال في كتابه الذي سماه "نافلة بغير جال" : (ان اشخاصي لا يتركونني ابداً . اني بصحبهم قد زرت دمشق وهم احياناً ادلائي وامياناً انا اقودهم . واذا حلت ضيفا على احد قدم لي خرة لثانية مذهبة فاني انسى الناس الذين هم هنالك وابتدى . في جمع اشباحي بقاء الدار ولا تستطيع اية محادثة ان تلفتني عن هذه الروايات التي لا ترى . ان ايامي التي قضيتها في حي ابيداف وفي ازقة الشاعر في الشام تكن الا من اجل اشخاصي .

لقد دخلت دمشق عند ميل الشمس الى القرب ، وحسنا

الدوالي . ومن يدري ؟ فقل هذه الحق عرفت من اسرار هذا الشرق ما لا يراه الا ادب من القرب . وضعت ذلك ديدني اذا جئت هذه البلاد اقترس اوجها علي ارى فيها البحر .

وحين جزت بحجة التي جاز بها امرؤ القيس قبل خمسة عشر عاماً وقفت على للماضي اذكر شمراء من اقدمين ومحدثين . واسمع ترانيم الناعورة فاحسني في هيكل عبادة ترتفع منه التراتيل الموسيقية الشامية ابد الدهر لا تهدأ ، فتلأ هذه البلدة الشرقية الساحرة التي لا تزال عليها آثار البادية . وحسين سألت النواير من سر بلادي رددت انشودتها في شعري فقالت :

تاسحت الزمان طول الاوان

داثرت ولحنا غير فان

قد فططنا الرؤوس في الماء دوماً

وبلنا به الصدور الحواني

واقفا مثل الهرائس في البحر -

تساعت برائات ربي

نقل الرقي للآثار فيرد -

جاناً يا حبيب -

ابداً تشد النشيد لاهينا -

فيندو المظلم بلا حنا -

ومررت في حمى بسوق البازركان تحت سقف مقوس عال فأقيت اشترى شرفاً من الحرير المتسع الوجاج . وكان البائع ذا حمالة صفراء من الاغباني قد لبس التميز الالاجا وادار حول خصره شحة من الشال فشر امامي الديباجة الواجبة وجعل يروي الجيرة عن خيطها وجبكته ونسجها وحوكها ، ومنارها وصانها ، ولحنتها وسداها . فقلت لنفسي ان في جيب هذا البائع تاريخ حمى واسرارها ، وفتنتها واجبارها وهو لا يدري .

وجئت صيدا الميناء ، وهي كهلال من الحلاوة اخذ البحر يدايه بلسانه فثبت عند الاصيل في مشية حلوة رقيقة التسم على الشاطئ . اطبع قدمي مياهم على صفعات الرمال حتى اغتخت عيني دنائا يقيد في الجو من بيوت اسنلت على ظهورها التلال والجرار ، وصفت الخفاق والارابق . فقلت هاهنا الفواخير فدخلت واحدة منها بين يدي البحر فشاهدت رجلاً قد اسن . غاص في الارض بحفرة الى نصفه ، وادار برجه دولاباً فيه عمود تجول على

رأسه الحفرة . وبادى احباً به فاقبل بهمين من طين ، ركبه في رأس السمود وأخذ يدايه باصابعه وهو يدور . فاذا هو يبدو جرة سخيفة ثم يطعم اسرها فتكون لها حمة مقلة ويستدريجونها ويتسع اطرافها ثم يضيق فيها ويصغر فاذا هي خلق سوي . قد كان كسلة من طين فأصبح آنية لاشراب .

فذكرت تلقا ما اشاهد عمر الخيام ، رحمه الله ، وحبيته قد رد في اهابي . فسألت الرجل او تكتب وتقرأ . قال كلا لكنني افهم ما يقرأ لي واعم « العلم » . فقلت ان هذا الطين الذي تقيمه وتضعه قد اخذ من لرض ربنا كانت مبرة ، فهو عظام الاءوات وذرات الاجداد . فلم يجب لولبي . وانما زادني فلسفة زاد بها على الخيام فقال :

- اتنا ندخل هذه الجرار التثور ونشويها بلويسه فنحرق اجدادنا ، وقد قال لي ابي يوماً كان هاهنا قبل ستين عاماً في مكاني : - يا بني ، انه لم يبق احد من هذه الحفرة ، لان من حرق ~~سجدها~~ حاش بغيراً روات فقيراً . ثم اندفع الرجل نحوي بالشكوى ورجله لا دور في صنعه فقال :

- ~~استمر~~ انا يا سيدي طوال عمري ، الا قوت يومي . فبدأ ~~بالتفكير~~ بالتحب هذه الجرار ان نتنم . وكنت اصيب بالروح ~~اليدوي~~ مصوفة كأنها موميات مصرية خالدة الى السكون . ولسل بيها صوتاً قد سمعته قبلي الشاعر الفارسي فقال بلدان متروجه :

اسم ابصرت جارنا الحرفا

يجمل الطين كيف شا . اعتناقاً

وحكائي اسمت بسين يديه

صوت ذات مقالومة تشكيه

قالت ارفق فأنت طين وماء

لا تسقي فيا صنعت عذبا

فرددت انكر الى اسرار الشرق . فوجدت فلسفة الخيام بنت هذه الاسرار . فبت راضياً مقتبلاً بانشاد الرباعيات ، غير حاسد لدورجيايس الذي كنت احسبه وحده رأى اسرار بلادي -

وصح - زكي المحاسني

اغاني اللبنانيين الشعبية

بنم شب طباره



عندي في بده هذا البحث ملاحظة اري من الخير ان ابدىها ،
وهي انني سأقصر الكلام على الاغاني التي شعت قبل حرب ١٩١٤
في بيان ، ثم اقرر ان اللبنانيين كانوا يومذاك كما هم اليوم يشتركون
في كثير من الاعادي مع معظم الاقطار العربية . على ان هات
اغاني تحمل الطابع اللبناني الخاص تفرد بها ابناؤه هذا البلد
وتناشدها بلهجتهم المحلية زمنا طويلا ، فاصبحت تعرف بهم دون
غيرهم . واني سكتني بوقوف عند هذه الاغاني ،
صودا صادقة من الحياة اللبنانية ، من جيل كاد يطفو في الزمان
ويجده في خبر كان .

لا حدال في ان اسلافنا ، ولعوا بدني و في الحيا
واقاضوا في احاديث الحب والفرام فقرحوا من صدورهم
الزجل فسمعتهم يشبون في (المني) وبنهذون في (المؤويل)
ويتابعون في (الساما) وسكون في (السبحا) ويحسون في
(القرايدي) فارونا من عوا الغريمة دون من لغول وضربون من
المني حسم ان تاملوه قبيلا تتشربوا نعمة الروح وحلاوة
الشهد وبراعة السكنة في هذا الفن الغنائي المحلي .

فن الاناشيد التي تدخل في باب الفخر والمدح نوع يسمى
(الزغاريذ) تنسبها بعض النسوة في الاعراس وتقول فيا تقوله
هاتعة لماروس :

وها يا عروس بيل العريس فيث

يا عرق لولو جوهر دين عينيك

وحياة حنك بروحي صرت اقدبك

وتعلم الحنك في مركب وابا ليكي

واجوبنت المدن تا يتفرجو عليك

لا هن مثلك ولا يبتشهو ليكي

وها - يا عروس ما يحتاج وصيكي

لا تخلي احد في الدار يشكيكي
هيدي حاتك جيبسا وعزيسا
وتكون عندك نظير امك تريكيكي
اوها - حراوينا ولبتنوب كئاني
والمسك في جياها حمزوج ديماني
ما قلتنك يا عريس ما لها ثاني
هي النجمة المشرقا وانت الكوكب الثاني
ثم تقول للعريس :

الزيس يا تليسد (عين ورقا)

يا دهب ايوسي ضرور دورق

يا دهب ايوسي ضرور دورق

ويروح مع النعم لانه ولا يرقا

ونحاطب الحضور بقولها :

اوها - اهلا وسهلا يا ضيوف عزاز

انتم عزاز جايين من بلاد عزاز

والطير تحبلكم حتى طيور الباز

انتم احلى من المال لو كان صاحب ممتاز

اوها - عقبال فلان يقاس كلكم قولوا

شوها الشب الظريف ومزينو طوله

لو فم خاتم ذهب محبوبك بالولو

عقبال فلان وخياته بنجولو

وتقول لوالد العريس :

اوها - عصفوري عالا اليوبيل يترغه

واليساخذ بنات الاصل الله يسهله

لروح اتا لآبي العروس وقله

قائمة عروستنا بتسوى مثلك كله

وتقول لاهل المروس :

اوها سحنا انزلنا منقول الى اجاويدي

وما نأخذ الا الاصلي وبها جيدي

نحنا ان اخذنا مناخذ بنت تصينا

تطلع وتقول لهما : يا سيدي ..

وتقول عند جلوة المروس :

قومي تخطري يا زيننا

كبش القرتفل يا عروسه

قومي البسي عقد اللولو

سبع بنات ينولو

وفي زفة العريس يقولون :

يا اهل الحليه

يا سامعين الصوت

بجاه (طه) خير البريه

راية فلان ...

ويقولون :

يا لطيف الشائل

بك هاجت بلابلي

وانطف ايا الغزال

لا تلمني العوازل

وعند دخول المروس الى بيت العريس ينشد المتشدون :

جينا المروس وجينا

المروس نحنا جيناها

وللعريس سلفناها

يا خلي قبل التروب

والعروس سكروبتوب

عاجينا شفتنا مكتوب

بنظرها يشي المكروب

ثم انهم في كل ما كلوا يرددونه في مجالس الانس من الهازيج الرقيقة والقصائد الحماسية ذكروا محاسن المرأة وتغنوا بما ظهر واستتر من اعضاء جسمها . ولما كان الحياء الذي فطروا عليه يمنعهم عن التبسط في شرح ما تتمتع به اعينهم من جمال الابدان استعملوا الكناية والتشبيهات فشبها بخدود الملاح وبانتاج اليهود بالزمان والميون بالوز والامال بالخيال والقم بالستى وغير ذلك من المحسنات

البديعية التي تدور حول الفاصلة فتبدو الاغنية الواحدة كأنها

بستان طالع بصنوف الحضر والوان الثار ...

وكلوا في القاب يكونون عن الحبيب بشجرة المشمش والحليمة

بشجرة الخوخ كتولهم :

بداركم مشمشة وبدارنا خوخة

يا شجرة المشمشة ماتت على الحورخه

فنبان من ريتكم للصفرا والدوخا

فنبان من ريتكم يغي عن الميا

وكثيراً ما كلوا يرمزون في اعانيهم الى قد الحبيب بالفضن

الطيب فيقولون (يا محلا الفعن بيل) ويقصدون بذلك الجبال

الاهيف الذي هو كصن البان ، وعنى القزلا نوما شاء الله كان ...

واخذوا اسلافنا الذهب وسيلة لاغرا . المرأة ، والذهب هوفتنة

النساء في كل دهر لانه اكثر ما يحس لاجلهم واكثر ما يفتق عليهم

فدسوه في الحب واستعملوه في الاغرا . بدليل قول القائل :

... بالسما ما لي وصول ليها

خمشتها بالذهب وكضت ايديها

... قسوا خلق دتي ريمنا

محبوبيتي من صفر مشرلة فينا

... ان كثر ينهم يملكون في جهنم الى الارهاب واستمروا

...

لاطلع لراس الجبل واتشر سنجق هواكم

وامسك يدي جوزفرو ودوقص كل من عاذكم

وكانت حوادث الغرام تنتهي في بعض الاحيان بزواج الخطيفة

وذلك بان يدر العريس حلة على عروسه فيهمج عليها في جمع من

اهله واصدقائه ويحتفلن من احضان اهليها بالقوة . قالوا في ذلك :

يا نزيل يا يو البيا يا غاوي يا مغربا

يا حولة ديجيني بكلامك سرجا

طلعتي في البشك ومين يجيب البشك

لولا خوفي من اهلك لا خذك غصيا

وكان البليانيون مثالا للروضة وكما الرجل والتضحية يوفون

بعد المودة والموى ويمنون براءة النساء فكان الرجل منهم يتمم

لكي تسرع المرأة ، وكان يشق لكي تبتا وتتمم . اما النساء

البليانيات فكان يجعلن يومئذ الى الجبال الطبيعي محاسن النفس ،

ويجيب معاني الرجولة في الساعد المتناول والشارب المعقوف وبيسان
ذلك ان بيئة لبنان بيئة كثر فيها البطش وكثر فيها الكبر والفر-
قلم يستطعن ان يروج في سوق النساء الا البطل . وعلى هذا كان
نساء السلف يسرن من منظر الخبير في زمار الحبيب يدلكم على
ذلك قول احدها من تملئ بحسن جيبها معجبة مطيشة :

شفت حبيي عالمينا شاكل فرد وسكنينا
ولقد عانى الحليل التذم لوعة الشوق ، فن قائل في كتم الهوى :
من هون لارض اللير من هون لارض اللير
والسر السلي بيننا ابش وصلوا للير
وان كان ما في ورق لاكتب على جناح الطير
وان كان ما في حبر بدهر وع عينا

ومن قائل في الغيرة :
يا لحنه السلي بدلونا طورك اسد
وتكسرت الاغصان من كتك الحمد
انا زعت الزرع جا غيري حصد
يا حشري ردوا القمح لعدائنا

ومن قائل في الميعر والصدود :
تلعح رس الحبل وشرو عي ال
وقول يا مرجبا نسم هو راكبي
يا رب يطوف النهر ويثلي لودي
احمل زنودي جسر ترق البنية
ومن قائل :

يا رايحين حلب
يا محلين انه
كل من حسه عنه ونا حبيي راح
يا رب نسمة هو ترد الحبيب ليا

والظاهر ان الشاعر يحيل فن العنينة اي (الاميلاج) اذ لولا
ذلك لما وضع التفاح فوق العنب في قوله (يا محلين العنب فوق العنب
تفاح) وان كان الامر كما يقول ما كبر الظن ان عناقيد العنب
وصلت بوقتها الى مقراها « بحبسه » .

واستذكر ابناء لبنان - فيما مضى - من المرأة ان تشكوفي
الغراميات فما ظفرت في اعنائنا الشعبية القديمة بنظم صادر من لسان
المرأة الا القليل ومع ذلك فقد اشتهر منهم من نسمين اليوم (كواكب)
كن موضع اصحاب الرجال وعور احاديثهم عرفت فيمن عرفت

متين بنت الحلال :
الروزنا :

عالروزنا عالروزنا كل الهنا فيها شو عملت الخاتنة الله يجازيها
وحنتنا :
يا حنتنا يا حنتنا يا حنتنا ضحككت حجار الدار لير حبابنا
ومارنا :

يا مارنا يا موسوعة التبطان مع البحرية عود يا زمان عود
وذاع صيت (سالم) بين الذكور :
لايت سلامي لسالم ما حدا من الحب سالم
ونا مجرحي متسالم ذلوني على حبيبي
وكذلك برهوم :

برهوم يا برهوم يا بر الجديله والماشي معندياويلي ولاعشاليله
وقصة المرحوم برهوم مأساة تحولت على مر الزمن الى ترويسة
وما زالت الام اللبنانية تناغي بها طفلها الرضيع حتى اليوم .

وما لا ريب فيه ان قيود الحياة الاجتماعية كانت شديدة
وصارفة في ان اقل حركة بحرية تأتي امرأة كانت
تحتاج عر الاذي واخزي والعار . من اجل هذا كانت حوادث
..... شنيع اللبناني تجري تحت جنح الليل وذلك بعد ان
..... الحبيب يرتفع الاخطار ، يدلكم على ذلك
قول من قال :

خشيت ان ليبتكم بعد المشا بتفني
لقتيكم تايمين وسراجكم مطفي
مديت ايدي حليقي لاقتف انا تنفي
صاحت بنيت لكم جتنا حواميه

ورحم الله عشاق الليل الماضي فقد قاسوا من شدة الوجد ما
جعل اغانيهم تفيض بالشكوى من الحرام ولا تقسو ان ليس
الملاة والازار كان من التقاليد المفروضة على النساء اللبنانيات في
المدن بينما كان خار اسود يستدير حول الرأس ويجيب الوجه وهو
ما سمي بالاصطلاح : قولة :

يا رب نسمة هو طلع القولة تيبان جبين العريض والفرع المكروية
لما كان اذا انعم الله على احدهم ولح صدر احدى التواني تبه
شيطانه فاندفع بتفني با وجدن لتوالموا غيرها من الوان الشعور :
كمت على صدرها وقالت تما تفرج
نحزن جديد انفتح وبضاعة فوجيه

وكذلك كانت النظرة الواحدة الى صدر المليحة تثير العجب وتدعو الى الاعجاب . وتصوروا كيف تكون الحال لو مددنا في عمر الاباء والجدود وشاهدوا ما شاهد في عصرنا من ضروب المعري وءهالم التهلك والاستهتار .

لبست كبروتها	شلت كبروتها	والله ما يفوتها
لبست المشاع	شلت المشاع	راحت تتسبح
	بنت الملعونة	

الحنا الحنا يا عطر الندى
ياخوفي من امك لا تدور عليك
وان جاتني امك وتسال عليك
والظرب ان هذه العاشقة تظل على هذه الحال قلعة لا تدري

من فرط الخوف ان تخفي حبسها الى ان تجلس معه في الهياينة لقمة
سائغة او حبة املس (نفسه) في لها وتقول وعمر اسامعني يطول.

وفرك عينيه ، كأنه في حلم .. اتسكن حورية ، هبطت من السماء ،
في هذه الغنية ، لتتم بحلم الدنيا الفاره ؟

ومشى وثيداً حتى اقترب منها في الجانب الآخر .. وكأنها
شعرت بالحركة فتمتعت دون ان تحرك ساكناً : سامية .. جئت ؟
وترددت الحركة ، ولا تتلقى جواباً ..

وتطلع الى مصدر الحركة ، ولستي العيوب بسيرة .. بعدها
الدعشة .

وشرع الاحمرار يوق وجهها ، وتوقف أهداها ترسم ظلالاً على
خدها فتراى كأنها من بنات الجن .. وتضي دقائق فيها همت
يلعب بغير أجلي تعبير عن هذا اللقاء المفاجيء .

ويستطيع المهندس ان يقول : فها اذا ازعجتك ..

لا تحجب جواباً .

ويشاهد : البست هذه قرية «النايبة»؟

ويجيب : .. رردا .. فهدت رؤيتها دقة جميلة

نظم

وتلجأ الى سلكوت واطراقة تأمل في دفقة اليبوع الشادي ..

واذا بصوت يدري وخنق اقدام تدنو وجير يتفاح .. وينجلي
الصوت وضاحاً صارخاً : وديعة ! وتطل سامية بقامتها التباهية ،
وحديثها المتدفقة وتقترب من المهندس كأنها كانت تنتظره بموتانقه
فيقبلها على خدها .

وتفتلت منه ضاحكة : اقدم لك صديقتي وديعة .. ابن
خالتي وخطيبي المهندس مصباح عبد الكريم ..

وتتد اليان فيتصافحان ، فيشر مصباح ان تاراً تسري في
اعضائه ..

— ماذا تقرأين يا وديعة ؟ صرخت سامية : واستلكت : تقضي
وتتلك بالقرارة المملة .. الاتعابين ؟ اذا قرأت ساعة ، شعرت
ان المدي ترق جسدتي .

فاجابت وديعة : القراءة عون على النوائب ، فهي مسرح
للاراء والمشارع والفكر الانساني .

ويترامي صوتها موسيقياً كأنغام عذراء وقتها انامل موسيقي

.. مشى تلك المسافة بصبر واثابة . كان الحراضعلاً ، لكنه
لم يأبه لهذا المظلي السحب من غوز الهباب . وهو يحده أمل لذ
يهدده ، فيستمتع على خفته ، فالسيارة التي جاء بها ، لا تستطيع
تسلق هذه التلال التي تؤدي الى القرية حيث تصطف خاتمه معاولا دها .
وسامية بنت خالته غليته ، وعني نفسه ببقاء خصب معها ، يادها
القبيل وينجها . وهو قد سبق الى هذه الخلية بدافع التقليد والقرابة
التي تربطه معها ، وان كان في قراره لا يحفر له هذا النمط من
الفتيات الطافرات . فسامية ضحاكة بمراحة ، وهو يؤثر الحزينة
المثوية ، وهي شقاء ، يضاء ، ويفضل الحرية الاسرة .. لكن
والدته اصرت على هذه الخطية .

واخذ مصباح عبد الكريم مندبيله يسبح به العرق الذي يفضبه ،
وكان نشاطه يتوقف كلما قفز بين هذه التلال المتوردة يستطعم من
جمال من جبال الطبيعة الخالاب . وسيرجع نفسه من عناء العمل للترام
الذي يرهقه وتلك الحرائط والتصميمات ، التي كان يدور
يوم . فهدت — مهندس — تقضي عليه بان ينسحب الى
عسير .. وفي قرية خالته — النايبة — سيقتفي رطل من الزمن ،
في صفاء بال وراحة .

وسار المهندس ، في طريق متعرج ، تشابكت فيه الاشجار
المورقة ، ثم كند الثعب وارقه المشي ، فتذكر ذلك اليبوع الثر
الذي امضى فيه ايام طفولته ، وما عم ان انحاز اليه ، يشق دربه
فراى الاشجار الخضراء ، التي كانت تتعاقب في مدحه ، واحس
تخدر يتشقى في اعصابه اذ ذكر انه سيعب من الماء النعير كوسياخذ
نعوة طرد عنه الزهق الذي مني به .

الا انه ما لبث ان تراجع مصباح عبد الكريم ، وهو في
حيرة .. لقد رأى على حافة اليبوع منظرأ مشيراً يجب له اشد
العجب : فتاة مستلقية ، ترفع رجلها ، تحركها بتؤدة ورفق كوهي
مستترقة في قراءة كتاب ذاهلة عما يحولها من خرو اليبوع الصافي ،
ذي النضة الضاحقة في تكسره على الجصاء .. وتاملها ، وتاملها ،
وتساءل بلغة : من تكون هذه الصبية ؟ وهو يعلم ان القرية
النايبة لا يؤمها احد من المصافين ، خلا عائلة خالته ، التي تملكها .

موهوب ، فينحدر الى قلب مصباح كاللغناء العذب .

وتطلق سامية ضحكة عابثة : هذا هراء .

ويترك مصباح في تفكيره ، فذهنه النفاذ ارشده الى ان هذه الفتاة الحفزة قتلي ، بالروح والفن ، والنهم الاصيل للحياة ، بخلاف خطيئته التي لا يهبها الا المظاهر الجوفاء . الثياب الحريرية الغالية تفرغها على جسدها ، والطبيب تتضخم بها ، والسهرات الراقصة وما أشبه .

وقالت وديعة : سامية .. اذا شئت سأخفي لك الجو مسع خليك ..

وتنهى الانعام الشادية مرة ثانية في فؤاد مصباح الطلمي . ، ويشئ ان لا تبرح المكان ليشمل من فتنتها القفلة التي ترددت كما صوب نظراته اليها .. وكان الاسمرار يسرع اليها كلما اتى نظرتة الحافظة ، وتقرأى بلونها الحمرى وعينها الواسعتين الميعقتين ، تومضان برغائب نفسها الخفية ، كمنال يحسد الجبال الحبيب . واستدارت وديعة تقول : سأخبرك المصباحية عبيد المهندس مصباح ، لاكون اول من زف اليها البشرى السارة .

وشيعها مصباح وهي تفتقر بخطوات متزنة فيها جمال مفروق لا مثاء .

وارسل تهلة وتساءل : من تكون ههنا ؟
- زميلتي في المدرسة الداخلية ، وقد حرمت عليا تقضي فصل الصيف معنا في القرية ، فوافقت بعد الحاح ، وأني لا أخبرت لاديا الجمل ونفسيتها الطيبة .

واندفعت تطوي مواهبها ، ومصباح يصفي بكليته ، متشبعاً قرياً . ولو نظرت سامية الى خطيبها بامعان لرأت العبريق الذي يخفق في عينيه كانه يتلقى النعم .

ومضت ايام ، وعقبها ايام ، في غضوننا لأمس الحب لاول مرة قلب مصباح ، ذلك الحب الجارف الذي لا يعرف هواده عويتذكر اللحظات السعيدة التي كان يقضيها بقرى وديعة ، تقرأ له بصوتها الفاتح ، وتحديث شئ الأحاديث الدالة على ثقافة مستفيضة واطلاع واسع وروح سرية وديعة كأسمها الوديع .

ويوم جاء ابن خالته من الصيد بطيور متنوعة ، وقدمت هذه على مائدة العشاء في جلسة عائلية ، قالت خالته : سلت بذاك يا ابني على هذه المصافير التريضة البسم التي اصطلمتها .

وصرخت سامية بصوتها التيه : ان اخي فؤاد صيناد بارع يسدد الرمية .

وانتظر مصباح رأي وديعة التي تجلس أمامه ، يتسرق اليها النظر حالاً متأملاً .. ولكنهما لم تقل شيئاً . فأملها بلهجة تنمّر بانضالات جمة : ما وأيك يا آسة وديعة في الصيد ؟ وهذه المصافير التي نأكلها ؟

وكان في صوته رعشة احست بها بدورها واجابت : حقاً ان آرائي غريبة ، فانا لا احب الصيد وأرى في قتل الطيور الصالحة جريمة نكراء . فلندعها في البراري تنعم بحريتها الطليقة .. ومن يدري ان هذه المصافير التي نأكلها ، لم تخلف اليم في صغارها التي تنتظر اوتها بفارغ الصبر ؟ - حرام ان تقتل هذه المصافير الامنة . واقلت منه كلمة : برافو .. برافو ، وديعة .

وروت ضحكة عابثة ، فقهة سامية التي كانت تجرّه وتبعده عنها كثيراً .

ويجتر مصباح الى نفسه وينزل في آفاق القرية .. وهو في صراع متكرر ، ينشب في اعماقه : لا يقدر ان يتخلص من اسر وديعة ويفلت من حبها الحاد الذي سد عليه المسالك ، فكانت المصباحية تتقد في طريقه . كيف للخلاص من قريبته سامية ؟

ويتضح .. لا يستطيع .. أرواح منها ، فروحها لاتسمع معه .. والكان الذي خلقه الله ليقطع معه مرحلة الحياة ، هو وديعة .. فيجب ان تكون روحه .

ولاحظ المصباح الحمار في اعماقه وتحمله . ليس له من نجوة .. في كل صباح ، يستيقظ على طبعها البلية واحاديثها المشتتة ، وجباً يحاول ان يطرد عنه طيفها ويمتدح عزماً اكيداً على هجر القرية ، ولكنه لا يستطيع ان يحقق هذه الامنية . فهو اذا يؤثر الزلّة . وكان يتفشل في اقاصي القرية ، تحت السنديان يلح ويلح ، ولكي يتخلص من الكايوس المزج ، بقدر نيته على مقاومتها بالح الذي يتأكله . وماذا يكون ، اذا ترك خطيئته سامية ، فليس بأول من يصنع ذلك ؟

ولكن الجدل يمونه ، فيتأسك ليفضي اليها باطفته ويتردد ، ويتردد ، وكلما اجتمع معها في خلوة وعزل على التحدث عما يكنه من لاجع المعوى ونازعة الحب ترلجم وتراجع قسراً عنه . ولعل لهذه البراءة التي تصنع في مجاها أثراً قوياً في ذهنه . وهجست في رأسه هاجبة آتته : من يدري اذا كان قلبها الطاهر قد انحاز الى آتو ، ينضم له ألحان الشفق ، ماذا يكون موقفه ، اذا دفعت وصدفت عنه ؟ أبقتل الحب الوليد بين جوانحه ، ويسم حياتة ، فتسحول الى قفر جديب ؟

واشلت نغمته على سامية ، التي اخفت نفوته منها ترو
وتطمرو ، ولو لم ينتصب امامه هذا الشبح الخفيف لكان الامر سهلا
ميسورا ، ولكن الخلاص من سامية صعب ، لا تحمد مقبته .

وكان المساء الساجي يوف على القرية حين خرج لا يمي ،
وانحدر الى الوادي ، ويا ولدتهته اذ رأى وديعة جالسة تحت
السندانية تأمل الطبيعة الداهلة .

— وديعة .. أسلمت ماء .

قالها وارتح عليه .

استقبلته باحبة ، ومضت دقائق ساد الصمت خلالها ، ولكن
عينه كانتا فصيحيتين عما يكنه من دفن الآلام .

واخيراً خلقت في رأسه فكرة تراخى لها : سيخطبها من
اهلها .

وقال : وديعة ، اريد ان اسألك سؤالاً بسيطاً .. اين يمكن
اهلك ؟ وماذا يسمل والدك ؟ وأين مقبره ؟ سألته بمائلة خاصة .

وسكت . وتأملها ، وهو يكاد يصق .. قد جالت صفة
رهية في وجهها ، وفوت نصيرته ، وترقرت دمة حوساء في

مأقبا . وكان كلامه كان سهماً مدداً في صدره .. غدا
التبر المالح ، وتجاهله وتابع : تحدي .

وتحسب لبكته ، ويعس ان كلامه : قد .. لا ..
قضى غبه ، وذكره انكبات جروحها النافية .. انما عجز مسؤانه

الطليبي .. ويحاول ان يبتدر : هوأ اذا اصبحت . أمات ابوك ؟
فيتلأ نشيها ..

ويشب بحركة سريعة ، وهو في قون مستمر ، ويستدير على
حقبه ، بعد ان ارتست على ثمره ابتسامه مرة هي اجمع من

الدموع التي تديرها وديعة الرماة . ويشتي بحظيته سامية ولا
يراه .. وتشرقفه ، فيشر انه بحاجة ان يحلو الى نفسه ، ويود

ان يتخلص منها ويقول : دمي يا سامية ، انا بحاجة للمسكينة ،
مسكينة نفسي ، مسكينة الوجود ..

وتعمر فاها دهشة : ما عراك يا مصباح ؟ ان سمحتك مقبرة .
وما تزال به حتى يجدها بحيلة الحبر .

فتعقب ما بين حاجبها وناله : لماذا أقيت سؤالك هذا ؟
— اصارحك يا سامية اني احبها واريدها زوجة لي .. وسأخطبها

من ابوها .

وتكلم مرغماً فلم يعرف كيف تكلم وكيف اناسق منه هذا
التصريح ، فلم يكن موجوداً في هذا الأفق الذي تتلأ سامية .

ومزق السكون المرفوف صوت سامية : اسمع يا مصباح ..
كل من يسأل وديعة عن والدها يقطع نياط قلبها .. مسكينة
ليس لها أب .

— انقب انه مات ؟! ان كل حي يسير على هذه الطريق .
الموت خاتمة المطاف في هذه الحياة الدنيا .

— نحن لا نعلم شيئاً عن الحياة . تولدنا ان نفقه سر الموت ؟
— لست بحاجة الى هذه القثرة .

— مصباح .. اني ارجو من اعماق ان تتزوج هذه البائسة ..
لا يهت امرى دن مركري الاجاعي وتروني وشحيتي ، تهبي

لي عروساً ممتازاً .. وليكنها مسكينة .. اصغ الي .. والله اني
اخشى ان تنقب على ربك ، وحصد من عنتك حين نسمع ما

أقبي عليك من الم الكلام . وديعة لم تعرف أباً معيناً .. وبعض
الشقيات من الطالبات عندما يحلو لمن تمزيها يمرض بابها ويغمرن

من قنات امها . فاذا فعل هذا بكت وبكت وصلت تطلب الى
الساخرة

.. تكون .. واقعة . لقد نشأت امها فقيرة ، ورغم جمالها
الساخر لم يتقدم احد الى الزواج منها ، واما التي ظلت تصدها

..
تتلقى الم والقضية . ونشأت حساسة ناعمة ذات اخلاق ممتازة ،

تلاص حلية في الما لتعرض جسدها الماري للانظار الذممة .. وانساعت
في اودية تنضب بها ، حتى حبلت المسكينة وكانت الثمرة وديعة

الزقية التي تقار بفضل قل ان توجد في انسانة .. تربت وديعة
ببيدة عن الجو الذي تتمرغ في حماة امها . ففي ظفر لها عادت بها

الى امرة فاضلة ترضها وتربها وتدفعها الاجر الباطل . ولم تكن
لتروها الا لماماً حتى دجبت الطفلة فكانت مأواها المدرسة الداخلية

تتلقى الم والقضية . ونشأت حساسة ناعمة ذات اخلاق ممتازة ،
فاذا جاء الصيف تبقي في المدرسة الداخلية تحت رعاية الاساتذة ..

تقضي وقتها بالقراءة والصالاة .. مسكينة وديعة ! انها وجعلت في
مهد الومل ، ولكن الزلوة التي توجد في الومل ، ايها ذلك من ان

ان تكون اولوة نقية ؟

ولجأت سامية الى الصمت لتري اثر كلامها في مصباح الذي
كان يصغي بكلية وتلموه سحابة كثيفة من الم ويقول اخيراً :

لقد ذهبت رغبة في انتاذاها .. احبها وكفى ..

— ان كلامك رائع يا مصباح . وخشيت ان تيل من رأيك
بعد معرفتك للنسب الاسود الذي يبيض جناح وديعة .

— هذا النسب اوهي من نسج العنكبوت . مأزوحها
لنفسها . سأبني وديمه وليس بنسها . ان الزهرة اذا نبتت في
القفر السبب اجل منها في الحديقة :

— هيا بنا لنذهب اليها .

وطفر نحو السديانة وكانت ودية تحلق في الافق ذاهلة
مما يحوطها من غوالب الطبيعة . وقالت سامية : ودية سأعذك
باسر هام ، لقد اخبرت مصباح بكل شي . حدثته عن امك
الراقصة وعن ولادتك السوداء . لكنه لم يابه لها وهو مجيب
بروحك المذبة وهدونك الصافي وجمالك الموهي . وهو يريد ان
يتخذك حيلة .

وكانت مفاجأة . فهدقت ودية مذعورة وعقدت الدهشة
لسانها ، فحبست فلم يطلق اية كلمة .

واستطردت سامية : ان مصباح يلوي بك فلا تفجبه بصدودك .
وقال مصباح : ودية اهراك وسأمدك . اشكري سامية
على تضحيها البالغة .

واستطاعت ودية ان تجاوب بعد لأي . رفض هذا الزواج .
وجال العرب في مصباح فصرخ : حرمان تمزق حي المألوف .

سأنتحر اذا اصررت على الرفض .
— لا اريد ان اتزع سادتي على كفن الآخرين . ان سامية
خلفتك وهي من مقامك الاجتماعي . اما اتافلت الالبسة .

— اصحي يا ودية . ان خطرتي لمصباح لم تكن الا تقليد
يحتطنا . كنت اشرفني بعيدة عنه كما كان يشرف . وكنا نعلم ان
زواجنا لن يتم في اللحظة الاخيرة . قد نشأنا معاً منذ الطفولة ونحن
نحب بعضنا كأخوين . وقد تحدثنا كثيراً بهذه المأساة الاخوية
التي تمنع زواجنا .

— ان ما تقوله سامية صحيح يا ودية .

— اصر على رفض الزواج .

— لا تعجب مصباح يا ودية . ستقبل به .

— سأنتحر اذا لم توافق يا ودية . وسأزوح من شرعائنا .
وسكنت . . . وكان سكوتها ذليلاً على اقاربها بالمواقفة
وصفت سامية طويلاً لراح مصباح يشتت قلبه من ثمر ودية
خطيئة الجديدة .

الاذنية - محمد الحاج حسين



من الادارة

- ١ - ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل - عوضاً عن ٤٠
- ٢ - يسعى بدل الاشتراك على حده . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني
غير ان الادارة لا تتعهد بالارسال الجزء الاول من السنة الحالية لنفاذ نسخته .
- ٣ - الاشتراك في الخارج على نوعين :
- (١) جنه مصري للخارج عموماً . ويغطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب
التي تصدر خلال السنة (٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة - ٦٠ قرشاً باقي الجهات - وهذا
الاشتراك لا يغطي صاحبه الحق في منشورات الاديب
- ٤ - يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .
- ٥ - كل مقالات والامحات التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
- ٦ - تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت لبنان

عربيات الشراع

o

ظفرت والجر وهج واناريد وعطر
موجة سعريه في لجة الضوء تكرر
والتي تجور آفات حوالها تذر
زودق طافت به الاحلام ههنا اغر
يعتر الطيب ، وفي منهر النور يمر

ارقتي في تيه احداقي ، فالاهوا جمر
كوكبا تشقه الآفاق لا يعبر بحر
... نسى مو حبيب وسك
... لي جمر باريد

<http://Archi.english.sakart.com>
في دمي ، بل في دم الكون ، ... ين مستمر

ضجت الاشواق فالدنيا خفوق مستمر
هي اصداء شباب ناثر ليس يقر
دغدغيا بشروق افقه اللتان ثمر
برعم الاغواء ام ترقصه انباء زهر
وهبة في مقلي زهر ، وفي جنبي جمر

انا يا قلب شراع حائر لا يستقر
اترى تجذبه الضفة ، ام يطويده بحر ???

دمي = احمد شكري سالم

اهداف الناحية الخلقية في التربية اللبنانية

بفلم منير النعولي

استاذ التربية وعلم النفس في دار المعلمين الرسمية ببيروت

ولا الصبر تيناً ولا يستطيع مخلوق ان يتجاوز حدود طبعه . ويستحيل
فرس عقل او طبع له امل في البقاء طويل في تربة طبيعتها رديئة .
فتهي . الوراثة الفردية في كل نقطة قسمة الفرد الخاصة به .
ضعوا طفلين منذ ولادتهما في ظروف واحدة . وهذيوهما على مناهج
واحدة فلا يخرجان بعد ذلك بمقل متشابه كما يخرجان بسحنة
متشابهة . اذ كل منهما يخضع لسنة التثقيف كسبب سلطان الوراثة
على منهما . وهما من نتاجه المتباين . ويقول موسو . ان خرافة

ان من يربي يهيئ : فالتقدير يخص كلا منا نصيب يحرم من
الاشياء الموروثة . - من امكان التهذيب لاني زهير الاندلسي -

واخيراً هذا كرازي في بصفرة الاسيرين . مطبعة عمية نوف ١٠
بين عوامل الوراثة ، والبيئة والتهذيب ، وحب عينان من نزعني
جميع هذه المؤثرات في اتخاذنا اهدافاً حقة تلائم مزاجنا وبيئةنا .

يتشبع لبنان بيازات طبيعية ندر انتقع بها بلد من بلاد حوض
المتوسط . فهو يزهر بجلته القشبية وبمناخه اللطيف ، ويفغور بريح
مدنيته التليدة : فقلانه حافل بالابحار من الوجهة الفكرية والخلقية .

ذلك من زود ساكنيه بحور عظيم لا عمل المشمر ، فهم يقومون على
الاسعار البعيدة فيحاولون في معمراتهم سياسية كانت ام اجتماعية الى
ان يصلوا الى تسلح حرركات عديدة ولو كانت احسية . فانما حاولوا
يرروا وداع صيتهم . وتصوروا بصفت شعب نام يقدم على المشاريع
الصعبة ويفرط على اقاربه . حتى تشبه بعض الشعوب من حل
اللبناني عليهم مساكناً فأخذوا يتاهضونه خشية مزاحمتهم تلك
الزاحمة التي تدل على فطنة خلقية .

اذا علمنا ان التربية العقلية ، ان هي الا واسطة تستهدف تمييز
عناصر التربية الخلقية التي يجب ان نتخذها اساساً لمذهب سلوكي
ننبه في هذه الحياة ، فحققتنا ما لهذا التربية الخلقية من مكانة سامية
في منهاج رقي الامم . فهي مقياس الحضارة التي تزدهر بازدهارها ،
وتنهط بانعطالها . ذلك ما يدققتنا لدراسة اهدافنا الخلقية في هذا
الوطن الحبيب ، مما لنا نستفيد ما كنا عليه من . . .

ولكن قبل ان نعين هذه الاهداف يجدر بـ . . . حددنا اهدافنا الخلقية .
هذه التربية في النفوس .

فاذا ما استعرضت الفلاسفة ، مررت بالمفكرين الذين
في التهذيب عملاً جدياً لتغيير ما جبلت عليه النفس ، وقد قطعتم
عليك كل رجاء . في ما تقوم المبادئ التربوية كشوبنهاور واتباعه ،
والمثاقيل الذي يتطلع الى الافق الفسيح ، فيمقد كل آماله على تأثير
هذه التربية الخلقية في الشعوب ، كديسكارت ، ولوك ، وستوارت
ميل ، وزعم علم الاجتماع الحديث دور كبير واتباعه الذين يمتدنون
على فعالية ما عليه الرأي العام على الافراد ، فهم يعتقدون ان الفرد
يستحي حتماً وبعده من ذلك الوعي الاجتماعي او بالاحرى ان الوعي
لا يمكن ان يرضى له . فرض انه فرض على الوعي الفردي ، والمتمثل الذي
يقف ما بين التشاؤم والمثاقيل في نظريته صكائال ويبو
وموسو ومولي .

يقول هذا الاخير في مقدمة كتابه « الجرم والجنون » ما يأتي :
« هم عظم سلطان التربية وهو على كل حال قوة محدودة . وحدودها
كامنة في طابع الفرد الفيزي . فلا يستطيع العمل الا ضمن دائرة
تحدها الحاجة الاضطرابية . ولا سبل الى جعل الورد يحمل ثقلاً ،

كل هذا التراث ، جعل من لبنان بلداً يفاخر بميزاتِهِ
ووجاه ساكنية .

ولكن هذه الميزات وتلك المواهب ، ان لم يستفد منها في
سبيل توجيه الشعب ، فقد تكون اداة غرور تؤدي بالجموع الى
انحطاط خلقي ، وهذا الانحطاط الخلقي قد يبدو ظاهرياً للامبالاة
تجاه القيم الاجتماعية التي يعتمدها الآخرون .

فهذه الميزات وتلك المواهب من جهة اخرى قد تكون اداة
ضالة - للركر الذي يحتله لبنان من الوجهة الجغرافية - لنقل ما
يناسبنا من الحضارة الغربية ، ويوسعنا ان يثقل الدور الرئيسي في
ترصيع المدنية الشرقية ، اذا قام بعمل القتل الواسي في انتقام
ما يصلح للشرق .

وهناك امر آخر قد يحسبه البعض حاجزاً يعترض سبلنا ،
وقد يعتمد عليه البعض الآخر في تحخير المجتمع الى تلك الحياة
السامية من الناحية الخلقية الا وهو تعدد الاديان .

فنحن نسأل متى كانت الاديان حبر عترة في روع المستوى
الخلقي في الامم ؟

ان الاديان السماوية التي تعمل على - في عصرنا -
على تلك المثالية الالهية ، فتنزع العقيدة وتقيي الاديان وتلغي
لعمل الخير واجتناب الشر .

وفي هذا كله فانك لا ترى النصرانية والاسلامية واليهودية
تتضارب في قيمتها الخلقية الاجتماعية ، كالسامع والتماهل
والعطف وكل ما ينادي وبطابق ما تقرض تلك الاديان السماوية .

ولكنك اذا زحزحت هذه الاديان عن المحور الذي تدور حوله
فقد تؤدي الى النصب الاعى ، تصب ينتج عنه التفرقة والتناحر
فالعلماني الى آخر ما هنالك من الصفات المنافية للاخلاق الطيبة .

على كل يمكننا ان نفصل الاخلاق عن الدين ، ونجمل منها
مذهباً عاماً يشمل جميع افراد المجتمع في سلوكهم دون ان تعارض
ما اتت به الاديان من واجبات فتتوحد النظرات الاجتماعية وتتم
بتناسق يرتاح اليه الضمير .

فالعهود التربوية عندنا ، التي يترتب عليها واجبات عديدة نحو
هذا المجتمع تنقسم الى عدة مدارس .

واما البيئة عندنا فهي سيئة الاثر في التربية لان الامرة شديدة

الضعف في الاشراف على ابناءها ، تحجب وتعتطف عليهم وتعتصمها
ذلك الحب وهذا العطف من ان تسيطر عليهم كما ينبغي .

فلبنان بعد ان يتوصل الى نتيجة الناحية العقلية في التربية يضع
لنا معالم الحس الاجتماعي الخلقي حتى تستكثف المعاهد من جهة
والمجتمع من جهة اخرى على جعل هذا الحس عقيدة راسخة في النفوس
يعمل على المحافظة عليها كل لبناني .

فهدفتا يكون في تنمية الميل الى الانقسام والتضامن وقوة
الحكم وما يشابهها وتربية الاداة ومضاء العزم ففي هذا كله
يجب ان نتمسك على الاعمال لا على الاقوال . يقال : انه دخل شيخ
دراة من دور التمش في آتينا ، وصر بين الاثنين ، فسخروا منه ،
ولم يفسح له احد ، فاستمر في سريه حتى اذا وصل الى جماعة
الاسبارطين قاموا باجلاله ، وأجلسوه بينهم فقال : حقاً ان
الاغريق جميعاً يعرفون الفضيلة ولكن لا يعمل بها الا الاسبارطيون .

معرفة الامر شي . والعمل به شي آخر ، فلا يكفي مطلقاً
تعليم الطفل كلمة الاحترام ، بل يجدر بنائهم كيف يكون
ذلك بصورة عملية وان نلاحظه ايضاً ، ملاحظة جديده ، في تطبيق ما
... ..

يجب ان توجه كل قوتنا الى تنمية العواطف السامية في الطفل
فندفعه الى محبة ، والنمساك بصفات اسلافه الطيبة كصفاتهم
في سبيل الصدق والامانة والكرم والاخلاص والمحافظة على
الاحترام والتواضع والخدمة الانسانية والمدافعة عن حوزة الشرف
بجرأة واقدام .

قد ي : ي خير يرحي عن امتلا قلبه - ولو صكان اعظم
علم - الحد وصدق وكذا وغرور ، واستجل دم الحيا . في وجهه
الى صديد القعة ، فصرى قبح الرذالة الى جميع شرايينه ، فالقلب
مظراً لاتواع الرذائل ومصدراً لضروب المايب ؟

صير النشوي

الظلمة

فترعبها
هل تنفعا الصلاة ؟
اما هي ، فيبف لساني
ولا يقبدها التوسل شيئاً
فتعض على شفتيها من الحلق
ويسيل دما اصفر
فتشرب منه
والكنها ان ترتوي
وتتوت مسمومة بذلك الدم الملوث
وهي تصرخ : الماء ، الماء ، ...
تدرك الازدي والكهوف صدى صراخه
حتى ... صدى الى افاوية السجينة
... حانه وعمده في اعماقها المظلمة ...
وتجد ما يؤرب الفجر من الظهور
تجد ايدي الاشباح الى ذلك الجسد الاسود
وبينا يرسل الفجر من نوره قبل الوداع
على بقايا العمة الماترة
يفتح نسم الشروق البليل
الايواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة
حاملا من عليا الزواي وقم الحيال
عبرة الورد النقية
وحنة من القرب المقدس
تطهير ذلك الجسد .

البيروني

هي تطلب الماء ، ابدأ ، ترتوي
ولكن هيهات ان ترتوي ...
لقد شربت من يدي ، كما شربت من في
فقدت لها عصارة نفسي
وسكبتيها كالنهر في فها
فما كانت تشرب
حتى تمت شفتاها
كاننا تطلب الارتواء
والقارة الاخيرة ما زالت تكرر على لساني
ولقد شربت كثيراً من غيري
فما ارتوت من احد
وسوف تشرب الى ان تتلاشي
وهي ... لا ترتوي
وكما انشبت اظافرها في صدري
تطلب الماء
ثم اخرجتها تحمل مقاطع من كبدي
فكذلك سوف تشبها في صدر غيري
الى ان تهبط قواها
وترتوي على ركبتيها من الضعف والوهن
محاوله الدائر ، كسيرة النفس
في طلب الارتواء
ويربها الناس فيأخذهم الاشفاق عليها
ويبها مسون
امرأة تاتية تعطي الى الله
ويربها الذين عرفوها فيقولون :
هي اشباح الضحايا تتراقص امامها في الليل

في الحديقة القديمة

بنم الياس ابو شدة

ما لا يدرك .. قلت « قرأت هذا :

Et tu connaîtras le visage mystérieux des profonds volumes qui conduisent à retrouver avec l'architecture du monde , l'architecture de l'esprit

فاكتفيت .. فقال : « لو اخط ابي جئتكم باحد راسم وانت بعد متأثر بالاشكال المعجزة بالكوايس .. فهل لك ان تقرأ قصيدة راسم وانت في مجبحة من صفاء البال ؟ »

وفي مساء تناولت قصيدة Fou de l'Attaka ما واذا هي ..
.. شاعر .. في .. الاستدراج ..
.. في الثالث .. سب محمد السوس .. عبيدي ..
.. على شذوذا لمن القصيدة كنت أحدث نفسي بتايي : ابي ..
نسب بل اية قريبي يمكن ان تقوم بين محافظ مدينة وشاعر ؟ واية صلة ممكنة بين روح تصرف شؤون شب له مشاغله اليومية وله نزعاته وغراضه وروح تسير دفة الخيال الى ما وراء المادة وتقوص في غمر من الطيوب والالوان والموسيقى ؟

وسرعان ما زال صبي عندما تذكرت ان لامرئين الذي انشد قصائد هي روائح في التراخي المغربي وآيات في الوجد هو نفسه الذي حكم فرنسا وانتقدها من الفوضى ، فالعقيدة التي نظمت في الماضي قصيدة كالحيرة وحكمت ببدأ كباريس لا تعير اليوم من ان تنظم قصيدة كجنون الثقة وتحكم ببدأ كالسويس .. ونو أنصف الناس لولوا عليهم الشعراء ، فالشعراء هم مستودع الحب ، والويل لشعب لا يرى الحب في حكامه .. والشعراء هم قلوب الناس فاذا ضلت القول فالقلوب لا تضل .. ايا الناس ، لقد حكمت فيكم جميع اصناف الناس فلم تغفلوا وما نسيت الا الشعراء ، فعكسكم فيكم لكم تغفلون ..

لبسة أشهر خلعت اذ كانت مجلة «الاديب» في مهدها جاني منشأ بقعة من الشعر الفرنسي منشورة في مجلة « France-Orient » وقال لي : « لك ان تنقل هذه القصيدة الى لسان العربي لنشرها في الاديب .. » فحملت في القصيدة وقلت على الفور : « لا .. » فقال مستعجلاً : « ولم ؟ » قلت : « لاني لم افهمها .. كيف تريد ان انتقل الى العربية فرنسية لا افهمها ؟ فانا يا صاحبي من تلك البقية المتأخرة التي لم تهب نعمة الذوق الحديث ولم يفتح لها في التوراتية التي فطحت «للمتقدمين» من شعراء اليوم فادرك ما لا أدرك وارى ما لا يرى .. يعني ، يرحم الله ، من .. »
فقال ضاحكاً : « ما هذا التمرمر ؟ وما الذي أجعلك اليه في ؟ » قلت : « ما الذي أجعني اليه ؟ قبل حينك بينية قرأت في .. »
الحجة التي ما زالت مصروءة على الارض قصيدة يقولها ناطقها البعري انها من فن السورياتزم .. ولما لم ألهم منها شيئاً خبطت بها الارض ولا تزال اعصابي متشنجة الى الان .. اسمع : « منافذ القدر المحترقة تطل على سقوط النثار الزائفة .. وقررات الخلم مغرورة في شبه ظل يجري عليه اشعة من الزرد .. وجميع المرايات القمرية تعيش من الصورة المتعددة للفضاء النشوان .. من صدى الخطوط المائلة الى الزرقة .. من امتداد النظرات التي لم تشع بعد .. دم العلم النائر للاشكال المعجزة بالكوايس يحفز الافاق للتمرد .. حتى النملث المفاجئة تلح في القللت المحضرة .. » فهل فهمت شيئاً ؟ ووافته اذا فهمت ما يريد هذا الشاعر او اذا علمت من اي فوسفور دركب هذا الكلام أتهد بان ارفع لك مثالا على باب المدينة وان اعيش برجل واحدة ويد واحدة كشك .. » فقال « طيب .. » ولكنني لم أدرك قد قرأت شيئاً من قصيدة احمد راسم ليعني لك ان تهسه بهذين « المتقدمين » من الشعراء الذين يرون ما لا يرى ويدركون

واني لعلي اكبر من اليقين ان سكان مدينة السويس سيذوقون
لحماهم الشاعر ، متعطلون به قفودون ، ومطشون الى ان في
القل الذي يتدبر شؤونهم قلبا مسجوناً بالاحكام الكوابيس . .
مطرأ بيلسم الحبة المدركة والحنان المحي .

اصدر الاستاذ احمد راسم لاشهر خلت مجموعة من شعره بعنوان
« في الحديقة القديمة » (١) . ولا اخل احدثاً ينتظر مني ان احده
عن مجموع ما في هذه الحديقة المقلقة . قد رؤي ان احد المصورين
رأى يوماً مصوراً ناشئاً يرسم صورة رقيقة وبمسد قليل تحوّل اليه
المصور الناشئ . وقال له : « لن اقلح ، فكلما مضيت في العمل
بعتت عن الطبيعة . » فقال له المصور : « أتسبح لي بأن اجلس
مكانك لارى ما علمت ؟ » وما ان جلس حتى اتضح له ان التلوي
المسكين يحاول تصوير جميع ما تقع عليه عيناه فقال له : قدعرفت
ما بك فانت تحاول وضع البرميل في الزجاجة ، فلن تفلح . »

وانا لن احاول وصف جميع ما وقعت عليه عيني ووعته اذني
من صور هذا الشعر واصواته ، من اصواته المكسرة وصورة المحلة
من حقيقتي على طريقة التوفيق . وقد قيل ان كل رؤيا تقترأ
من العالم المنظور محولة عن حقيقتها لان لنا افكارنا ومزاجنا ولنا
على الخصوص جسد . وهاهنا ما يدرى بذكره بلورته على
ماضينا المسحق ، وورينا العالم خل هذا الماضي الترام . والشاعر
الظيم كالمصور العظيم يحول ما يرى عن الحقيقة الى صورة
الاستقامة في فنه لانه لا يصور الا كما يرى ويحس . اما الزدادة
في الفن فتبدأ حين يصدر الشاعر عن سابق قصد وتصميم الى تحويل
الشيء عن حقيقته لفنه ان هذا التحويل يدهش ويهيب ويعجب .
ويقيني ان احمد راسم ما تعدد تحويل الصورة عن حقيقتها عن سابق
قصد وتصميم حين قال : « كانت ذراعهاها المحبرتين باسورة من
الزجاج تقنيان كتريا من البلور تالطنها الريح . . . وقد احتفظ
جسدها بجلال تلك الاشعة التي يركبها القراصنة . . »

قرأت شعر احمد راسم في جو حري به ، فقد اردت في بادىء
الامر ان ابعي نفسي له فغسلت على شرفة بيتي المطالة على الخليج
والأكات السبع المتسللة حوله اطياراً لم تبعد يد الطبيعة اجل
وأروع منه ، رادياً فانما غضباً بحسبة بنضحية خفيفة ، وما لبثت

نفسى ان سالت على هذه الجواذب القاتنة وامترجت بها ، فشماني
خدر عيق شمرت منه بأن جبراً يمتد بين الارض والسماء . بين
الانسان والله ، وسرعان ما خيل الي ان الاتحاد البشرية تذوب
وتحني وان الحياة تندفق يتابع من الحب ، ورأيت الحب في كل
مكان ، رأيت كرمياً كلفه بطلي ولا يمتكر ، يحرق ولا يستعيد .
رأيت في التربة التي تطلي التراس وفي التراس التي تطلي الشعر ،
في الينوع لذي بطلي الماء وفي الماء الذي بطلي الحياة ، قلت في
نفسى : ما دام الانسان يفتأ في هذا الجوال الكرم ينش من الطبيعة
نفسها مع الحب ويشرب مع الحب زلالها ، ومع الحب يأكل
ثمارها ، فمن أين ولدت فيه عاطفة العبرة والحدق ؟

وأرسلت عيني وروحي في شعر راسم ، وكلما انعمت فيه
التكر والروح وضع وصفا ، واذا في حديقة ما تنكرت علي
في ما قالها اسرار الشرق . رأيت في هذه الحديقة مسا رأيت على
الخليج والأكام والباقع وما يليها من مقائق الطبيعة المعامشة حول
بيتي كاني امام قصيدتين تكمل احدهما الاخرى . وهل خلقت
الطبيعة الا لتلهم الشاعر ، والشاعر الا ليكمل الطبيعة ؟ ورأيت . .
رأيت في هذه الحديقة مجانين الشرق او حكاهم الشعراء يفتأون
« . . . » الحكمة مطبوعة شبيهة ، في ميوعة من
« . . . » في صورة مسكرة من الابداع . رأيت فتنة
الشرق في عذريته بنوبيا ، ودلاله الكريم ، في مجيراته وخليجانه ،
وصمت . . . صمت الريح قولول على المضارب كرمشة المشتبات
ابان صخبها . ورأيت . . . رأيت عرائس الشرق في لذائذهن
المفردة تنضح من اجسادهن اعراف ومن مراشفن غور . . . غور
الحب واعرافه واعرافه المحقر وغوره . . . رأيت الشرق وصمته
في طموحه وزهو ، وحلمه ويقفته ، في كتابته ومرحه وكبريائه
ودعته . في انواره وغلاله ومفاتيحه ومفاته . في خشونته ورفقته ،
وفي شغفه واشباحه . ورأيت الشرق في روحانيته المطرلة
وصمته هذه الروحانية تقول : لا نجاة للعالم ما لم يعد طفلاً ويرجع
التقهري الى مراضع الشرق فيوطب شفتيه بجليب الحب المحي
ويكمل عينيه برشاش الجلال الابدي .

اباس ابو سكر

(1) Dans le Vieux Jardin, Ahmad RASSIM, Editions R. Schindler - le Caire.

روح الثورة الفرنسية

في

ان وصلوا الى جسر «نوف» حتى تحول دانتون الى سوبريل وقال له : « اذا استمر الحال على هذا المنوال فلن يبقى قطة طمانينة واحدة . فالدم الذي يهرقه القادة في ساحات القتال لا ينمهم من اهراق ما بقي منه على المقصلة . انظر ، يا سوبريل ! كان اليوم

مساء يوم من اولى ايام كانون الاول عام ١٧٩٣ خرج دانتون وسوبريل Souperbielle - المحاكم لدى المحكمة الثورية - وكيل ديولان من قصر المدل . وكان النهار دامياً قطعت في صبيحته خمسة عشر عملاً في ساحة الثورة ، وحكم



نثيد المريلياز لوحة للفنان الفرنسي غوستاف دوري

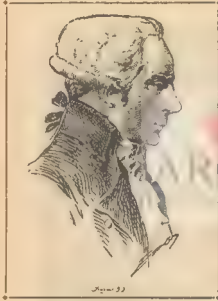
يجري دماً ! « قتال سوبريل : « والسبا . حراء كأن وراء غيومها امطاراً من الدم ا يودي ان احبب هذا الدم وايكن ماذا استطيع ولست سوى مواطن خامس . آه ! لو كنت دانتون ! « قتال دانتون : « دانتون بنام ، فاصمت ! وسيستيقظ في وقته .

في اثنا عشر بالموت على سبعة وعشرين آخرين . خرج الثلاثة من قصر المدل مطرقي الرؤوس يضغط قلوبهم ذلك الشهيد الالم الذي شهده . وكان الليل الذي يثير كوامن النفس ويهون عليها البحر والشكوى حاله السواد بارداً . وما

تصعب حديد ، ومن يسمح لهم ان يتلاعبوا بكرامة الشعب ويطلقوا حجاج لحون بصلحان العسرة ؟ لقد خيسل اليهم ان الكونغرس - Convention - هـ - نفت المادة الكاثوليكية ، وهي لم تقبل ذلك ، فقد اعلنت حرية المبادات وستتمتع كل حركة ترمي الى اطلاق الامن ، وليست الكونغرس انسيون سوى منظمة سياسية وشعبية معهود اليها ليس بجمل الناس على احترام الحقوق فصب بل على احترام طابع الشعب الفرنسي ايضاً . فهي لم تعلن بدون جدوى حقوق الانسان تجاه الكائن بذاته ففكرة وجود كائن اعظم يسهر على البرامة المظلومة ويماقب الجريمة ايا هي فكرة

انا رجل ثورة يا صاح ، ولست رجل مجزرة . ثم تحول الى كيل ديولان واستطرد قائلاً : « اما انت يا كيل ، فقم تلزم الصمت ؟ » فاجابه ديولان : « لقد تمت من الصمت وتحدثني نفسي بان اشهد قلبي كسابق عهده ، فمداده ابقى من دمهم ، فهو لا يتولد » فصاح دانتون : « عشت يا كيل ! فباشر منذ غد . فمن واجبك ان تعجب دم الثورة كما اطلقتها . وكن على اكبر من اليقين ان هذه اليد ستدعلك » .

وافترق الاصداء الثلاثة على باب دانتون . وفي صباح اليوم التالي كتب كيل ديولان النسخة الاولى من



روبسبير



دانتون

شعبية .

وهكذا كان روبسبير يخلق للثورة خيراً وقاضياً . وفي ذلك تلاقى ودانتون على صيد واحد . وفيما اعداء الثورة يملكون على قتلها كان ابطالها الميامين يثبون مبادئها مستمدة من تعاليم فولتير وروسو وديدرو ومونتسكيو . كان كيل ديولان يرتفع احياناً الى فلسفة فينلون ليخلع على الثورة لون دينية سياسية فيقول : « من خلل الرأي الاعتقاد بان الحرية كاطفولة بحاجة الى ان تقرب بالصراخ والدموع تتصل الى الادراك والنصح » .

جريدته « له فيو كوردليه Le Vieux Cordelier وبعد ان قرأها على دانتون حملها الى روبسبير . وكان روبسبير ما يزال متردداً امام تدابير « الارهاب » فلم يزيد كيل ديولان ولم يله بل لزم في كلامه جانب الحرية التي كان يريد الاحتفاظ بها في عمله . ولئن كان روبسبير ما يرح متردداً في مهاجمة « الارهاب » خشية ان يجرّد جمية السلام العام Le Comité du salut public من سلاحها فهو لم يتردد لحظة في مكافحة الذين كانوا يهيمون بوجه الثورة ويحاولون احلال الحلال محل البادة الالهية . قال : « بأي حق يزعمون حرية المبادات باسم الحرية نفسها ويهاجمون التعصب

الفلسفة الاجتماعية في نفوس اليقوين Les Jacobins وفي الصباح يطلب ادخال هذه المبادئ في الدستور . وكثيراً ما كانت ستحتج جمعية تحمل خطاباً على التهاك بعضهم على بعض ، ولكن حالاً تهدأ الزوبعة يستحيل غضب رجال المناير الى محبة كبرى للحقيقة الاجتماعية ، للشعب وللجنس البشري على اطلاقه . وكان روح الشعب يوحي مبادئ الكونفانيون ويأخذ بيدها ، فأتى التسول بإنشاء منظمات للعمل وملاجئ للسجن ، وأجر الأغنياء على المساهمة في

فالشعب حرّاً اذا اراد ان يكون حرّاً . وليس للحرية شيخوخة ولا حداثة ، بل لها عمر واحد هو القوة والصلابة . لا ليست الحرية التي نعبدها الهماً مجهولاً ، بل هي إلهة منظورة ملموسة توزع الخيرات على من هب ودب من مستحقين . وهذه الخيرات هي اعلان الحقوق وهي غنوية المبادئ ، الجمهورية ، والاخاء ، والمساواة المقدسة ، والعدل .
وكان سان جوست يث في خطبه مبادئ روبيير يقول :



شاعر روجيه ده ليل يفت لاول مرة بنشيد المرسلات

اسعاف المجتمع كل بقدر طاقته ، وتبنت الجمهورية جميع الاعمال القضاة ، ووضعت لجاماً في فم الجشع التجاري ، وقررت التعليم واحادي تعمم شيوعية الفكر لان الجنس البشري هو بمثابة اب مفروض عليه ان يخلف لنداري الوطن ميراث جميع الافكار والمعتقدات والآراء ، ولان التربية هي كالقواء بنشقا جميع المواطنين على السواء . وواجبت ان يكون العمل جزءاً جوهرياً من التربية ، وحرارة الارض التي عناصر هذا العمل . ذلك ان روبيير كان

« ان النظام الاجتماعي كان في طبيعة الاشياء نفسها ، والانسان يولد للسلام وللحقيقة ولا يقصد الا القوانين الودينة . فاذا سنت له قوانين توائم طبيعة قلبه اعطي السادة التي يستحقها والحقوق التي له . على ان طرق الحكم واساليب لم تخلق الا وحوشاً فضلت الشعوب سبيلها . فن واجبنا ان نهدي هذه الشعوب الى الصراط المستقيم . »
في ذلك الحين كان روبيير يواصل كل مساء غرس مبادئ

عاطلة الجال في روح الولد مجمله على حفظ اجل القطع الفلسفية
والشرعية والادبية التي خاضها الروح البشري ميعاتاً للاجل .
ولكي يؤمن روسيني نفقات هذه المؤسسات ودفع اجور
المعلمين والمسلات طلب فرض ضريبة بحيث ضريبة الاولاد .
وطلب ايضاً فرض ضريبة للتقراء ليخصص ريعها للشيخ العجيز
والمرضى . ويبدو ان روسيني كان يستهدف الاشتراكية في
الحيزات والقواوي في المراتب ، مدفوعاً بروح الاشتراكية البدئية،
المثل الاعلى لليسعين الاول وقد اصح المثل الاعلى للفلاسفة .
وشاءت الثورة ، فغورة بالهد الحليد الذي انتحنته للعالم ،



انت تكون الجمهورية الفرنسية عدا في تاريخ الجنس البشري فاصدرت
 « اليومىة الجمهورية » لذكر الناس الى الابد انهم لم يرتفعوا الى
 مرتبة البشر الا منذ اليوم الذي اعلنوا فيه انهم احرار . وكفى
 تميز الثورة الزعاع ، اول الفنون وآخرها ، صحت الاشهر باماء .
 الفصول فاعطت اشهر الحريف اماء ، فاندمج الذي يتم فيه عصر
 الغيب ، ورومي الذي يحجم الماء ، وفريق الذي يغطي الجبال
 بالقيق . واعطت اشهر الشتاء اماء . فينوز الذي يكسو الارض
 بجله بيضا . من الثلج ، وبولفيوز الذي يرويا بالامطار ، وفانثوز
 الذي يطلق الرياح . واعطت اشهر الربيع اماء جرمثال الذي يست

أما المعارف التي شعر الوطن بأنه مدين بها للولدفكانت تنحصر في تعليم القراءة والكتابة والحساب ومبادئ الآداب الكونية وقوانين البلاد ، وفي تحمل الذاكرة بسع تربية الشعوب بحرفيها.

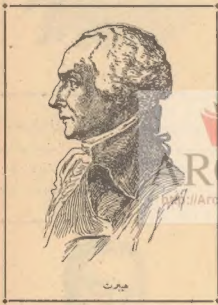


اروع، وفوريل ابي يهر الشات، وير ... لعلقة و ...
 وأعطت شهر الصيف ... مسيدور الذي ...
 الذي يدعى الاتلام، وفروكيور الذي ...
 وقد اعد رجال الكونفانسيون خطط هذه القوانين على آيس



وهذه المأثرة المدهشة حملت جودو Baudot وليساس Lebas ،
عضوي جمعية السلام العام ، على اسناد قيادة جيش بيشيرو Pichegru
اليه مضافة الى قيادة جيشه فهاجم هوش البروسانيين والنسويين
في وقت واحد ودخل ظافراً الى ويسبرغ Weissembourg . اما
البروسانيون فقد انسحبوا الى ماينانس Mayence وكان بقودم
الدوق دى پروتزويك فاقى السلاح مغشوراً بالعار لانكساره على
يد قائد في السادسة والعشرين من عمره .
وفي ذلك الوقت الذي ظهر فيه قائد في -هجرة الشباب ارض
الجمهورية من الاعضاء كان الجنرال ديباس Dumas يستولي على

والخطباء كيرابو ودانتون وفرنيو وروبسبير وهير ومارا وسان
جوست وكيل ديولان أنجيت طائفة من رجال السيف أدبت اعداء
الجمهورية من الدول المتحالفة على الثورة وتكثلت اخيراً بمقري
زمانه نابوليون بوناپرت . وفي عداد اولئك الجنود مرور Moreau
وجوردان Jourdan ومارسو Marceau وفاندام Vandamme
ومكدونالد Macdonald وكليبر Kléber وبرنادوت Bernadotte
ودوزو Desaix وهوش Hoche ونكتي في هذا الفصل نبذة
قصيرة عن الجنرال هوش ، انقى وجه انجبت الثورة الفرنسية .
في صيف ١٧٩٩ أسند لازار كارنو Lazare Carnot ،عضو جمعية



هيرت



فرنيو

مشارف الالب ويهدد البيسولتيين ، حلفاء النمسا . وكانت جمعية
السلام العام تفكر في غزو ايطاليا ، ولم يكن بوناپرت يومئذ الا
قائد فيلق ، على ان الخطط التي كان يمش بها الى كارنو وباراس
Barras كانت تم على عقربته .
وصفوة القول ان الجمهورية كانت تنحصر في كل مكان ،
فراحت الفنون والعقريات تشيد بهذه الانتصارات الاولى للحرية .
وكما ان روجيه دى ليل Rouget de Lisle انشد غساطر ١٧٩٣
هكذا ماري جوزيف شينيه قد انشد انتصارات ١٧٩٤ في قطعة
» نشيد الرحيل « Le chant du départ الذي يستنشق الظفر كا

السلام العام الذي خلق جيوش الجمهورية الاربعة عشر ورسم جميع
الخطط الحربية ، قيادة جيش الموزيل الى القائد الشاب هوش .
وكان هوش في السادسة والعشرين من عمره تضم روحه نيران
الثورة ، ولا يرى في المجد الا جبال الحرية . قبل القيادة كما يقبل
الواجب ، وما هي الا بضعة ايام حتى اضرم في روح جيشه - ما في
روحه من النار ، ووثب الى قمة القرج Vosges بثلاثين الف رجل
فحالفه القتال في بادى الامر ثم خانه قترابع ، وما لبث ان تلقى
مدداً من الاردن Les Ardennes فكر من جديد على الجيش
النمسوي فسمقه واستولى على مواقعه وحقق اتصاله بجيش الرين .

تبر الرميل

La victoire en chantant nous ouvre la barrière,
La liberté guide nos pas;
Et du nord au midi la trompette guerrière
A sonné l'heure des combats
Tremblez, ennemis de la France,
Rois ivres de sang et d'orgueil,
Le peuple souverain s'avance;
Tyrans, descendez au cercueil;
La République nous appelle,

وفي عداد النساء السائرات المرأة الشابة الحسناء البليغة روز
لاكومب Rose Lacombe التي كانت ترأس « الجمعية السويدية
النسائية » آخر « كلوب » ثوري صممت به الكونفاسيون . كانت
هذه المرأة في طليعة الباسلات اللواتي كنسن الطغالبين الطغساء لا
بالمسكنة بل بالحنابو والتناديل الحراء . ففساء باريس كن على
رأس الجاهليين اللائرة التي اقتضت قصر الملك فامتشن الحنجر فوق
سرير الملكة المسكينة وحنن ردؤوس الحراس على ردؤوس الحراب
اجل ، على اكاف النساء الفرنسيات امثال روز لاکومب
بنيت الجمهورية وقامت الديمقراطية ، ومن صراخ « ولا السبايا



دومولان



مارات

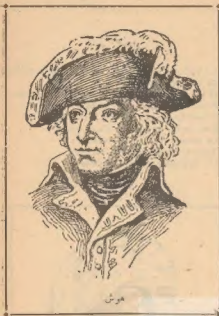
تصاعمت تلك الانشودة الخالدة ، الانشودة الانسانية التي غنت
وجه العالم فساوت بين الرفيع والوضيع ، والظني والفقير ، وافسدت
السييل الى سلوك الطريق المؤدي الى فردوس الحرية العظيم .

تقد ساهمت النساء الثوريات في بناء هيكل الحرية والنساةوة
والاعاء . ونفخن في بوق « حقوق الانسان » وهدمن الباسليل كما
هدمه الرجال .

على ان مبادئ الثورة كانت بحاجة الى رجل يشرها في
مشارك الارض ومنازها . فالانصاروات الكبيري ، والفن المصكري ،

Sachons vaincre, sachons périr;
Un Français doit vivre pour elle;
Pour elle un Français doit mourir !

ومثلت النساء دوراً خطيراً في الثورة الفرنسية . وقد قال
ميرابو : « اذا لم تتدخل النساء في شؤوننا فلن يكتب لنا النصر »
ولا شك في ان ميرابو لم يكن يجهل ان غضب النساء اذا احتم
يتجاوز في نيرانه جرأة الرجال ، ولم يكن يجهل ايضا ان الحراب
تلين على صدور النساء . وان الايدي العزاء اقدر على انتزاع اسلحة
الجنود من الايدي المسلحة .



هورس

موتين وديكارت ، مع كودنيل وراسين ، مع فولتير وروسو «
وما كان لي ان اجد حبيبي الا جامعة مثقلة طواقم يرف عليها روح القرن
المؤمنين حينئذ ، وروح الثورة ، وتجوب جيوب الامم المتأخرة لتستل
منها ذاتيتها الرثة وتزلفها على
طبيعتها فتأثر بتقاليد امة اعترف
لها العالم بالفضل وبايمها السلطان
عليه . لقد خلص يوناتان الى غايته
في كل طور نحاه ، فانه وان
لاطف ذكريات الارستوقراطية
في فرنسا وتلق لاوهم الحكم
المطلق اذ ملأه بانظمة زائلة
تهدمت تحت اقبال الزمن الا انه
بقى ذلك الديمقراطية السليم يمثل
الثورة الكبرى وناسر تعاليمها .

١٠١ .

والفتوحات الغراء ، ليست بالقضائل الوحيدة التي يترجمها التاريخ
فيعرفها في مطاويه ، وليست الفضائل الوحيدة التي تقف عليها نواذر
الشعوب في حياة عظماء الرجال الذين يدمرون الممالك او يشيدونها
بقوة السيف . فالتقصير الكبير وان قهر الجرمانين وغرس النصور
الرومانية من قة القوقاز الى جبال كليدونيا ، واجتاز غاليا الى ايطاليا
وروما الى مقدونيا ، وصحاري القرسل الى افريقيا ، واطلال
قرطاجنة الى شواطئ النيل ، وعبر البوسفور والرين وجبال طارق
والالب والبيرينه الا انه سير اسم رومها ولغتها وعاداتها تحت حماية
عجده الشخصي ، وحمل معه عصر اغسطس وهو يتنزه الى مطارج
الحياة والنور ، وبني اعظم وحدة سياسية عرفت في الارض .

ولكن الدهر لم يقصر لاحد من بين جميع الفاتحين ان يتناول
من اسباب الخط ما تناوله نابليون الكبير ، فان كان الاسكندر
قد فتح في الحرب فتحاً امكناً من عصره ليس فعمله الى مذاهب
الجوزاء كما حل القيصير عصر اغسطس ، وان كان هذان الفاتحان
قد استمدا عبقرية هوميروس وسفوكس وافلاطون وارسطو وفرجيل
وهوراس فان نابليون قد حمل همه ثلاثة عصور في نفسه في الفن
والعلم والفلسفة ، وما كان عصره اقل انطلاقة في ميدان العقيدة
الفكرية من عصر من تقدمه من الفاتحين ، فقاموا لاجلنا في اوروبا مع
الثورة



الحاجرة النائرة تشوي على حصن الباستيل

مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

اتسم شهر تموز المنصرم بمجمل أحداثهما تطور الموقف العسكري في مصر لصالح الحلفاء. وفي جبهة فرونييج بروسيا لصالح الروس. وفي الصحراء، ففي أوائل شهر تموز بدأ الجيش الألماني ينسحب في قطاع العين واستولى جيش الجنرال أوكنك على عدة مرتفعات ذات أهمية استراتيجية. وفي السابع عشر منه شنت قوات روسيل هجوماً كبيراً في القطاع الأوسط، وبعد قتال عنيف انسحبت قليلاً إلى الغرب، وكانت قوات الحلفاء المؤلفة من الهنود والنرويجيين قد استولت على قمة الروبات جنوبي غربي العين. وهذه التسهيلات على القطاعين الأوسط والشمال من المنطقة. وهكذا انتهى أول هجوم كبير للدبابات الألمانية في العين.

وفي الاثنين والشرين من تموز استؤنفت العمليات الجارية في الصحراء بعد هدنة قصيرة. فقد شن الاستراليون والافريقيون الجنوبيون هجوماً أسفر عن استيلائهم على مشرفين لها بعض الأهمية. وشن البريطانيون في الوقت نفسه هجوماً آخر في القطاع الأوسط غربي قمة الروبات. وحاجروا هجوماً ثالثاً في القطاع الجنوبي بجوار القنطرة قاموا خلاله بمضيق التقدم. وهذا الهجوم المثلث أسفر عن احتلال القوات البريطانية لمنطقة تل المصبي بكاملها. وبسبب الأسطول والطيران البريطانيين مساهمة كبرى في العمليات الجارية في الصحراء، وقد قطع الطيران البريطاني الدليل على تفوقه على الطيران الألماني في هذه الجبهة. ومنذ القبول أن الجنرال أوكنك موطن المنزم على الخروج ظافراً من معركة الصحراء، وهو الآن يحسن المواقع التي اكتسبها تأهباً لعمليات المقبلة.

في روسيا، أما في الجبهات الروسية فبعد احتلال الألمان على سياستبول التي دافع عنها الروس دفاعاً منقطع النظير وحشدوا القوات الألمانية خسائر لا يحصىها نقل واصلاً قدامهم نحو الشرق دافعين لكل شهر من الأرض ثمناً جالياً جداً. وبديهي أن هدف الألمان هو الاستيلاء على روستوف. ويظهر أن القيادة الألمانية ما تزال تملك مقادير كبيرة من القوات الاحتياطية بالرغم من الخسائر الفادحة التي منيت بها. وقد تمكن الألمان بفضل دباباتهم من الوصول إلى ضواحي روستوف، ولا شك في أن الروس سيستولون في هذه المدينة الدور الذي مثله في سياستبول، أي أنهم سيدافعون عن كل شيء وكل بيت إلى أن ينهكوا العدو.

وفي جبهة فرونييج يقوم الألمان بهجمات معاكسة من غير أن يتمكنوا من استرجاع المواقع التي اكتسبها الروس. وللروس في هذه الجبهة ما يمكنهم من القيام بتناورات قد تقلب وجه المعركة ببطء تظهر.

وصورة القول أنه إذا كان الموقف في جبهة الجنوب على جانب من الخطورة فلا يزال لقيادة السوفيتية إمكانيات كبيرة تدمر إلى التفاوض. وما لا شك فيه أن الضغط الألماني في الجزء الجنوبي من الجبهة سيفضل هذه المناورة. هذا إلى أن التقدم الألماني الذي جرى بفضل التراجع الستراتيجي الذي قام به المرشال تيموشنكو أسفر عن إبعاد خطوط المواصلات والتدوين الألمانية. ويتنظر أن يتزل المرشال تيموشنكو إلى ساحة القتال ثمانية فرق مدعومة بتأخير هائلة من الدبابات والطائرات والمدافع.

هذا إلى أن الاستعدادات لفتح الجبهة الثانية في أوروبا تقوم على قدم وساق، فاقوات الأمير كاتية المجهزة بكامل عدتها ترد بدون انقطاع إلى أيرلندا الشمالية وقد يوشع إنشاء مئة وخمسين طائراً جديداً في إنكلترا. والمقول أن الجبهة الثانية سيوطاً لها بقوات كبرى يشترك فيها لا أقل من ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف طائرة دفعة واحدة.

هذا من الوجهة العسكرية، أما من الوجهة الدبلوماسية فأهم ما اتسم به شهر تموز المنصرم المصدر الأكثرية التي حصلت عليها حكومة مستقر تشرشل في مجلس العموم خلال المناقشات التي دارت حول الموقف الحربي بحر، واعتراف حكومة واشنطن بالجنة الوطنية لفرنسا المحاربة.